PDF Compressor Pro

دروس قرآنيّة

مجموعة دروس القاها العارف بالله تعالى

الشيخ/عبدالجواد محمد الدومى

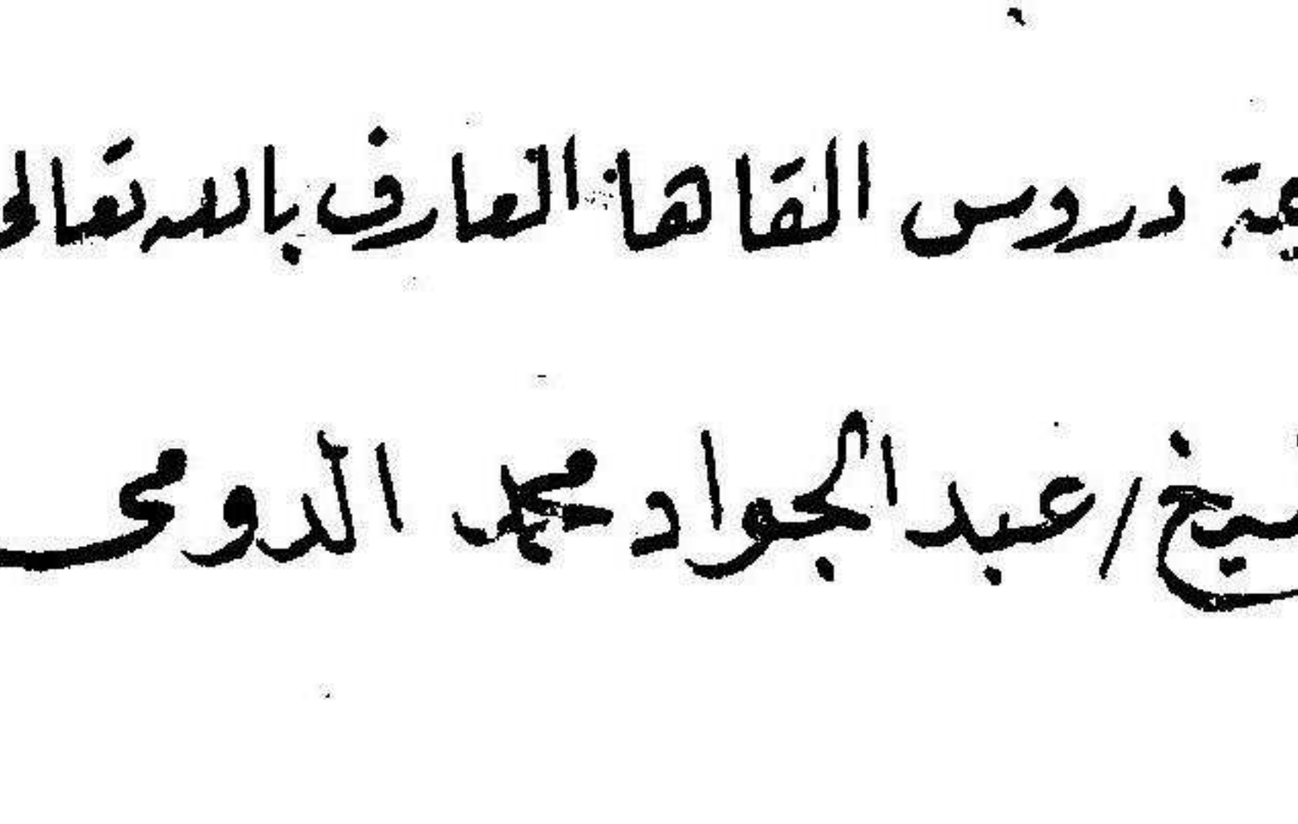

PDF Compressor Pro

دروس قرآنيّة

مجموعة دروس القاها العارف بالله
الشيخ : عبد الجواد محمد الدومى
فى مسجد السباعى بالسبتية من
أول شهر رمضان ١٣٥٤ هجرية
الموافق ٢٧ من نوفمبر ١٩٣٥ ميلادية

PDF Compressor Pro

بسم الله الرحمن الرحيم

« ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة ..
كشجرة طيبة أصلها ثابت .. وفرعها
فى السماء تؤتى أكلها كل حين باذن ربها
ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون »

صدق الله العظيم

PDF Compressor Pro

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

بين يدى هـذا الـكتاب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف خلق الله وخاتم رسله محمد ﷺ :

القائل : فى بعض أدعيتـه :

« اللهم أنت ربى لا اله الا أنت خلقتنى وأنا عبـدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت · أعوذ بك من شر ماصنعت · أبوء لك بنعمتك على · وأبوء لك بذنبى فاغفر لى · فانه لا يغفر الذنوب الا أنت » ·

اعتراف بالربوبية لله وحده الخالق ·

واقرار بالعبودية للقيوم ·

وتذكر للعهد والميثاق · يوم ألست بربكم ·

وثبـات على التوحيد وتواضـع رفيع فى الالتزام بالتقوى قـدر الاستطاعة · لا قـدر ما يجب لله تعالى ·

واعتراف بنعم الله الدائمة فى كل شىء وحال ·

وخوف من القاهر القـادر لا ينقطع يذكر بجلال الله وعظمته · ممن لم يرتكب ذنبـا ﷺ · ورجاء وتضرع ويقين بأنه لا يغفر ذنب المـذنبين الا أنت يا الله ·

هل نتعلم ؟ فنتأدب ·

هل نتأسى ؟ فنقتـدى ·

هل نبصر فنسير فى طريق الهدى ·

ولنـــا فيك يا سيدى يا رسول الله أسوة حسنة ٠

نعم ٠ يا ربنـــا ٠ نعم لبيك اللهم لبيك ٠

أنت الله لا اله الا أنت خلقتنـــا ونحن عبيـــدك ونسألك يا الله أن تثبتنـــا حتى نـكون على عهـدك ووعـدك ونسألك يا ربنـــا أن تمن علينا بالشعور الدائم بنعمك الدائمة علينا ٠ وما أكثرها وأجلها ٠

وأن توفقنا لشكرها قـدر ما نستطيع ٠ فنحن نعجز أن نشكرها قدر ما يجب لك وكما ينبغى لجلال وجهك وعظيم سلطانك ٠

ونعترف يا ربنـــا بالذنوب ٠ وما أكثر الذنوب ٠

ونتضرع لك يا ربنـــا أن تغفر لنـــا ذنوبنـــا وحوبنـــا وخطايانا ماعلمنـــا منهـــا وما لم نعلم وما أنت به أعلم ٠ فانه لا يغفـر الذنوب الا أنت ٠

واشهد أن لا اله الا أنت وحـدك لا شريك لك شهادة صـــدق ويقين واخلاص ٠ شهادة نبرأ بها من كل شرك ظاهر أو خفى ٠

شهادة نرتقى بهـا الى مقـام الشهود ٠ فلا نرى الا واجب الوجود الله ٠٠ الواحد المعبود ٠ من له الفضل فى معرفته فهو رب الفضل والجود٠

من شرفنـا بعبـــادته ٠ وأعلى مراتبنـا ٠ فـكلفنا بطاعته ٠ وأثابنا بمحض فضـله ٠ على هـذا الشرف وهو أداء التكاليف ٠ فله الحمد فى الأولى والآخرة ٠

ومن هنـا تختلف مراتب المـكلفين العابدين ٠

فبعضنا يؤدى الصلاة ـ مثلا ـ أداء العبد الذى يخشى عقاب سيده ٠

والبعض يؤديهـا أداء الأجير الذى ينتظر الأجر ٠

والبعض يسمو فينظر الى تـكليف الله تعـالى لعبـاده على أنه منتهى الشرف وغاية السمو بالمـكلفين ٠

فعندما يحين وقت العباده يهرع اليها يستبق ٠ لأنه يسعى الى شرف٠

ويجاهد ليخلص لأنه يتسلق الى القمة ٠

يقول لنفسه بخ ٠ بخ ذلك المجد المنيف ذرا ٠

فأى شرف بعد أن يخاطبنى الله تعالى طالبا منى ٠

صلاة ٠ أو صوما ٠ أو زكاة ٠

فيؤدى العبـادة أو قل انه يذوب فيهـا ٠ بعيدا عن أداء العبـد ٠ ساميا عن أداء الأجير ٠

ـ ★ ـ

ذات مساء كنت أتشرف بالجلوس فى حضرة شيخى وأستاذى العارف بالله تعـالى سيدى الشيخ عامر عبد الرحيم سعيد ٠ مع بعض اخوانى ٠ وحان وقت العشاء ٠ وانساب صوت المؤذن رقيقا فى المساء ٠ الى مسامع شيخى فردد برجع مع المؤذن ٠ فى حنو واشتياق ٠

ولم أخطىء فى عينيـه ظـلال دموع الخشية والجلال والحنو ٠٠ وأدركت أن كلمـات الأذان توحى له رضى الله عنـه بلقـاء مرتقب مع الحبيب ٠

ثم قال رضى الله عنه :

« كم أنت يا رب شرفتنا بأداء التكاليف ٠٠ »

أيها السيد العظيم ٠ بك وبأمثالك أضاء الله الـكون ويضيؤه ٠ بك وبأمثالك يحفظ الله الدنيا ٠

من أجلـكم يا سيدى يقيم الله عمارة الـكون ٠

فأنتم أحباب الله ومحبوه ٠

ـ ★ ـ

وعلى هذا النهج الرشـيد كان أسـلافك العظام رضـوان الله عليهم جميعـا ٠ وقمـة من قمم هـذا النبع الصـافى كان العـارف الدومى ـ سيدى عبد الجواد الدومى ـ رضى الله عنـه صـاحب هـذه الدروس القرآنيـة ٠٠

هى اذن مدرسة قويمة المنهج ٠ تنتج ٠ وتخرج ٠ جيلا بعد جيل ٠

عناية الله ترعى مدرسة الطريقـة الخلوتية الدومية فتنتشر شـذاها فى ربوع العالم الاسلامى كله فى تواضع مهيب ٠

اللهم انا نتوسل اليك بحبهم · فانهم أحبوك ·

ولم يحبوك الا بحبك لهم ·

فبحبك لهم وصلوا الى حبهم فيك ·

ونحن لم نصل الى حبهم الا بحظنا منك ·

فتمم لنا ذلك يا أرحم الراحمين ·

— ★ —

ولنا مع هـذا الـكتاب قصـة · تمثلت فى بعض صـــعوبات عند التنفيذ · لا بأس أن تشاركنا اياها · نعم لا بأس ·

هذه الدروس القرآنية هى كتاب وليس بكتاب ·؟

هى مؤلف وليست بمؤلف ؟ كيف ؟

هذا الـكتاب الذى بين يديك لم يكن مخطوطا تركه العارف الدومى رضى الله عنه · كما أنهـا ليست مقالات منشورة فى صحف مختلفة ·

لو كان على أى صورة مما سبق لما كان ثمة صعوبة ؟

ماذا هو اذن ؟

هى دروس ألقاها العـارف الدومى رضى الله عنه فى مسجد السباعى ببولاق عام ١٣٥٤ هـ موضوعها القرآن الـكريم تفسير آياته وبيان مافيها وحولها · وسيظل القرآن الـكريم منهلا عذبا للمسلم قراءة وحفظـــا · وتعليما وتعلما · وتفسيرا · وأحكاما ·· الى يوم القيامة ·

ومن هنـا سميناها « دروس قرآنيـة » · ولابد لك ـ لـكى تعيش ـ وأنت تطالع هذه الدروس أن تستحضر وتتذكر « صورة » الدرس فى المسجد أى درس فى أى مسجد · ولابد أن تشتمل الصورة عنـدك على شيخ جالس وحوله رواد المسجد والمصلون خلفـه والشيخ يلقى شفاها · وتنوع المستوى الثقافى للمستمعين وتعدده واختلافه اختلافا يصل الى حد التباين ·

فاذا أضفت الى هـذه الصـورة العـامة خصائص معينـة لدروس العارف الدومى ـ رضى الله عنه ـ تكون قد قاربت الحقيقة ·

كان الدرس يكتظ بعدد هائل يضيق بهم المسجد وكانوا جميعا يواظبون على الدرس حتى يخيل اليـك من شـدة حرصهم أنهم مقيـدون فى مدرسة

نظامية أو يحرصون على نيل جائزة المواظبة فى نهاية العام · كثيرون منهم دارسون فى الأزهر أو تخرجوا منه وكثيرون أيضا من الشباب المثقف وغيرهم كثير من الأميين أو يكادون (١) ·

فلابد مع كل هذا أن يشتمل الدرس على مادة علمية عالية · وان تقدم فى أسلوب سهل قريب الى أفهام العامة ورواد المساجد · وأيضا لابد أن يكون كل درس يؤدى أو يحتوى على معنى مستقل ينفع ويرضى عابر السبيل ويصلح له زادا · وسوف يصاحب هذا بالضرورة تكرار واعاده واجمال لما سبق · وعبارات يسمح بها مقام الدرس قد لاتصلح فى كتاب ·

وأيضا ·· فان ماوصل الينا لا يمثل جزءا - كاملا - من القرآن الكريم · ولا موضوعا معينا · انما هو بعض جزء ·· بعض قصار السور · قيض الله شابا من شباب ذاك الأوان · اعجابا وحبا ·· أن يجلس فيكتب عن الشيخ ساعة الدرس ·

فكتب وحفظ ماكتب · حتى أراد الله لما حفظ أن يخرج للنور من جديد · فأعاد شاب ذلك الأوان الرجوع الى ما كتب · فكانت هذه الدروس التى بين يديك وصدق الله حيث يقول : « ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء · تؤتى أكلها كل حين باذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون » ·

أراد الله تعالى للشجرة الطيبة من الكلمة الطيبة أن تؤتى أكلها الآن وفيما بقى من الزمان - باذن الله تعالى - كما آتت من قبل ·

- ★ -

فى أول يوم من أيام رمضان المبارك من عام ١٣٥٤ هـ الموافق ٢٧ نوفمبر عام ١٩٣٥ م ·

جلس العارف بالله تعالى سيدى عبد الجواد محمد الدومى فى مسجد السباعى ببولاق يلقى دروسه حول القرآن الكريم · وكان بين الجالسين شاب جلس يكتب ويقيد ويسجل ما يخرج من فم شيخه - رضى الله عنه وعن من كان حولهما -

---

(١) هذه الصورة ليست من الخيال · انما هى نقلا عن تلامذة العارف الدومى الذين عاصرناهم وبعضهم يعيش معنا أطال الله عمرهم ·

لابد أن يكون الشاب قـد سمع من الشيخ قبل ذلك ولابـد أن يكون قـد أعجب بما سمع وأنه حرص أن يسجل هذا الـكنز ليثرى به أجيـالا أخرى تجىء بعده ٠

ماتزال تسرع الأيام والسنون يوما بعد يوم وشهرا بعـد شهر ويلف الجميع عام يمضى وراء عام ونرى الشاب كهلا ٠

ويعود الشاب الى ما كتب يعيده فى صورة تصلح للقراء وفى عام ١٤٠٢ هـ الموافق ١٩٨٢ ينتهى الكهل من فحص بعض مذكراته لتنتهى حياته ويوافيـه الأجل جالسا فى نفس المحراب يتبتل سائرا على نفس الدرب الذى بدأ به حياته ٠

فى صيف عام ١٩٨٢ م انتقل الى جوار ربه الأستاذ الفاضل الشيخ الحاج عبد المنعم عبد السلام الشهير بين اخوانه ومحبيه بالحاج أمين ٠ تاركا لنـا صفحات هـذا الـكتاب رحمه الله رحمة واسعة وجزاه الله عن شيخه وعنا خير الجزاء ٠

وأبدى لى رحمه الله تعالى رغبته فى طبع تراث شيخنا رضى الله عنه ٠

وهنـا تولدت العقبة الأولى ٠

هل نعيد الصياغة من جديد ؟٠ أم نبقى على الصياغة ونحذف المقدمات فى كل درس ونجعله موضوعا واحدا ٠؟

وأذكر له رحمه الله تواضعه وخلقـه وأدبه ٠ حيث طلب رأى فى هذا الموضوع وأذكر له ـ أيضـا ـ رحمه الله عبارات التشجيع لشخصى الضعيف وهو يبادلنى الرأى ٠

وكان ما اتفقنا عليه أن تطبع الدروس كما هى لأن اعادة الصياغة فيها افتئات على الأمانة والتـاريخ وتدليس على الشيخ والقارىء على حد سـواء ٠

وأيضا فاننـا ـ لو فعلنـا ـ سوف نحرم القـارىء المريد من كلمات الشيخ ٠ وهو ما لا نريده ؟ ولا نفعله ٠

أضف الى ذلك أن عبـارة الشيخ رضـوان الله عليه دقيقة وأسلوبه رفيع المستوى فمحاولات الصياغة لن تطفى الا ترقيعا ممجوجا نرفضه ٠

أما عن حذف المقدمات من كل درس ٠ أو التلخيص لما سبق أن قيل ٠

فأى ضرر من بقـــــائه ؟ قلت لا ضرر على الاطـلاق من الاعاده والتلخيص بالشكل المقبول الذى بين يديك · فلعل من الاعادة يتضح المعنى وربما بالاجمال يثبت فى ذهن القارىء ونحن اذا وصلنا ـ بهذه الدروس ـ الى تلك الغاية نكون قد أصبنا الهدف ·

فتلك غاية ما يرجوه معلم من درسه أو يطمح اليه مؤلف من كتاب ·

أخى المسلم :

كل هذا السرد ليكون شباب الطريقـــة الخلوتيـــة الذين لم يعاصروا سيدى العـارف بالله الدومى رضى الله عنه · وكذلك الشيوخ الذين عاصروه وسمعوا منه هـذه الدروس · ليكون الجميع على ثقة بما فى أيديهم أمانة تاريخ ·· وطهارة خلق ·· وعذوبة منهل ·

ـ ★ ـ

لم تكن هذه الدروس أول ما صـدر للعـارف الدومى رضى الله عنه فقد سبقها كتابان ·

الأول كتاب « العارف الدومى » ترجمة لحياة العارف الدومى رضى الله عنه · اشترك فى تأليفه عام١٩٦١ أخى المرحوم الشيخ عبد الرحمن والأخ الشيخ عبد الرحيم عبد الجابر امام مسجد السباعى الآن · اشتمل على مسيرة لحياة العـارف رضى الله عنه مولده ونشأته وبعض ما استطاعا أن يسجلاه من حيـــاته وكذلك تفسـير بعض قصـار السور ورأيه فى بعض مشكلات التفسير ومنهجه فى ذلك رضى الله عنه ·

الثانى : مجموعة مقالات سبق نشرها فى مجلة نور الاسلام له رضى الله عنه بعنوان « من نفحات الدومى » · وهى عظيمة النفع والفائدة اشتملت على مقالات فى الحديث والتفسير والفتاوى ·

والآن يصـدر كتاب دروس قرآنيـــة وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنى لاصدار كتاب آخر · مادته موجودة · دروس أخرى فى التفسير مع قصة المولد النبوى الشريف وقصة الاسراء والمعراج ·

وسوف ترى فى كل ذلك منهجا فريدا متميزا فى التفسير والتصوف ·

وسوف تطالعك شخصية العـــارف الدومى رضى الله عنه فى هـــذه « الدروس »

ومجمع هـذه الشخصية أنه داع الى الله على بصيرة فقد جمع كل صفات الداعية الرشيد ٠

فقـد كان رضى الله عنه ملتزما ٠ وصبورا وعالمـا نافذا الى قلوب أحبائه ومريديه ٠

والالتزام واضح فى هذه الدروس ٠

فوحدة الموضـوع ـ وهو التفسير ـ تؤكد هذا فاذا بدأ الشيخ رضى الله عنه فى درس التفسير ٠ لا ينقطع عنه حتى يصل فيه الى نهاية ترضى جليسه وطالب علمه ويصل هو الى غاية يريدها ويتشدها من الدرس والتلميذ على السواء ٠

وكان رضى الله عنه ـ صبورا فلا يمل موضوعه ولا يشوش على طالب الدرس بتشتت الموضوعات واختلافها ٠ ولا ينقطع ٠

ومهما يكن الصبر والالتزام ٠ فلن يفلح الالتزام ولا ينفع الصـبر والجلد ٠ مالم يكن المعين لاينضب ٠ وهكذا كان العـــارف الدومى رضى الله عنه ٠

كان معينه لا ينضب وكان منهله عذبا وعلمه فيض ومنة من واهب العطايا والمنن ٠

ولسوف أترك لك أيها الأخ المسلم كثيرا من الصفات تلحظها بنفسك ٠

سوف تلحظ مثلا الالتزام ٠ من المواظبـة على الدرس وسوف تشهد الصبر والجلد من المواصلة والدأب وسوف تنهل من فيض العـــلم ما شاء الله لك ٠

كان العارف الدومى رضى الله عنه داعيا الى الله على بصيرة ٠

وعبقرية الداعية وعبقرية البصيرة ـ ان جاز التعبير ـ تتمثل ـ فوق ماذكرت ـ فى القـدرة التى تصـل الى حد الاعجاز فى توصيل المعلومات الرفيعـــة ـ التى بين يديك ـ الى عوام المصلين والمريدين كم كانت مشكلات علم التوحيد واضحة لديهم بفضل أستاذهم ؟

كم كانت معضلات التفسير ومشتبهاته سهلة بينة المعالم ؟

كم كان التصوف واضحا · بل غلو أو شطط كيف استطاع هؤلاء العوام أن يستوعبوا ذلك علما وعملا وحياة تلك عبقرية الداعية وعبقرية البصيرة ·

كم كنا ونحن طلبة فى الأزهر الشريف نغوص فى مشكلات علم التوحيد ·

أويصيبنا البهر فى دروب التفسير · وقد تتحجر الكلمات فى منحنيات التعبير فلا نستطيع أن ننطق بالجواب خوفا من الزلل فقد تهرأت الحروف · وقد لا نستطيع أن نعيد السؤال من فرط حوار الطرشان لقد ضاعت ان أو سقطت حيث ·

ويدخل علينا من باب الحجرة أحد الاخوان تلاميذ العارف بالله أميا والله · نحتكم اليه ·

فيقول لقد سمعت سيدى الشيخ عبد الجواد يقول : فيكون الجواب·

تلك عبقرية الداعية وعبقرية البصيرة ·

ان أعظم المعلمين هو ذلك الذى يوصل أصعب المعلومات لأقل الناس ثقافة ·

وأوضح المناهج ذلك الذى يفهمه عنك البسطاء وأصلح القادة الذى اذا رأيته فى قومه حسبته واحدا منهم ·

هكذا كان العارف الدومى رضى الله عنه ·

كم كان واضحا وكم كان عظيما وكم كان صالحا ·

وسلام عليه فى الخالدين والحمد لله رب العالمين وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ··

الطاهر محمد الطاهر الحامدى
مجمع البحوث الاسلامية
بالأزهر الشريف

الدرس الأول

بسم الله الرحمن الرحيم

« اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم ، الذى علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم » ٠

أول ما نزل من القرآن الكريم على النبى ﷺ هذه السورة الى قوله تعالى ما لم يعلم وهو الصحيح ، لما أتم ﷺ الأربعين من عمره الكريم فى ربيع الأول ابتدأ يتلقى الوحى مناما فكان ابتداء الوحى عليه ﷺ فى المنام واستمر كذلك الى آخر شهر شعبان فكان لا يرى رؤيا الا كانت مثل فلق الصبح ٠

والتشبيه هنا بفلق الصبح للدلالة على الصدق والوضوح لأن هناك فجرا كاذبا وفجرا صادقا ، فالفجر الكاذب هو كالخيط وفى جانبيه ظلمة (وأول ما يبدو فجر كذوب) وأما الفجر الصادق الذى يستبين معه النور فهو شىء آخر ولكنه لا يأتى الا بعد ليل طويل خصوصا فى الشتاء ٠

فأول ما بدىء به ﷺ من الوحى الرؤيا الصالحة فى رواية والصادقة فى رواية أخرى ، فكانت رؤياه ﷺ دائما مثل فلق الصبح ـ أى نورا وضياء ٠

الرؤيا الخالصة السليمة من الأخلاط كالفجر الصادق فهى نور وضياء كضياء الصبح كلما يعلو كلما ينتشر ويعم الأفق ٠ فالرؤيا تكون نيرة وبالتأويل وفهم معناها يظهر المراد منها ويزداد نورها ٠

وغيرها كالظلمة وكلما أولتها ازدادت ظلمة والعياذ بالله ٠ لأن الرائى ينام وقلبه مشغول بالأخلاط فلا يرى الا ما نام عليه كمن يرى نفسه فى المسجد وهو لا يصلى وعلامة لمثل هذا أن يتوب عسى الله أن يحول حاله الى حال أحسن ٠

فكان النبى ﷺ فى بدء الوحى لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح ، واستمر الوحى مناما ستة أشهر · ولعل هذا هو السر فى قوله ﷺ (الرؤيا الصادقة جزء من ستة وأربعين جزءا من الوحى) لأن مدة الوحى كانت ثلاثا وعشرين سنة أى ستة وأربعين نصفا ورؤيا النبى ﷺ الصادقة كانت فى نصف سنة أى أن الرؤيا كانت جزءا من ستة وأربعين جزءا من الوحى ·

وبعض الناس اذا رأى رؤيا فانه يقص الرؤيا ويود تفسيرها كأنها آية ويطلب تفسيرها تفسيرا واسعا مع أن الرؤيا قد يكون تأويلها فى كلمة واحدة ـ على أن الرؤيا مهما كانت طيبة فان الرؤيا تسر ولا تغر ، ويجب على الرائى ألا يغتر بالرؤيا ـ طبعا بل يجب عليه أن يحمد الله ويطلب منه التوفيق لما يحبه ويرضاه ·

فقد كان أبو بكر الصديق رضى الله عنه وهو الموصوف فى القرآن الكريم بوصف الصاحب لرسول الله ﷺ والموصوف بأنه (أولو الفضل) وقال فيه النبى ﷺ ما قال ـ ومع ذلك كله فانه كان يقول « لا آمن مكر الله ولو كانت احدى قدمى فى الجنة » ·

ومع ذلك فقد قال فيه النبى ﷺ (ما فضلكم أبو بكر بكثير صيام ولا صلاة ولكن بشىء وقر فى صدره) ·

فالعبرة اذن بالايمان والصدق والاخلاص وكل ذلك محله القلب ولا عبرة بالمظاهر ولا بالمحاضرات ولا بالسفسطة (واللسان الطويل) والمنظر الوجيه ـ استمر الوحى المنامى مع النبى ﷺ ستة أشهر فلما جاء رمضان حبب اليه الخلوة والبعد عن الناس فكان يأتى غارا فى جبل حراء يسمى غار حراء فيصعد اليه ويختلى فيه ويتحنث فيه أى يتعبد فيه أى يتحنف فيه أى يتبع الحنيفية السمحاء ملة ابراهيم عليه السلام أى يتعبد على شريعته ويتحنث فيه الليالى ذوات العدد ويمكث فيه شهرا صلوات الله وسلامه عليه ·

من مبدأ الأمر والنبى ﷺ محبب اليه الخلاء فكان يتزود أى يصطحب معه الزاد وفى ذلك تشريع لأمته ·

تجد بعض المجاذيب يقول انه ذاهب لزيارة السيد البدوى رضى الله عنه فنقول له هل معك فلوس فيقول خليها على الله · شىء لله ياسيد فهذا

فهو يعصى الله ويريد أن يتسول ومثله لايقبله الله ولا يقبله السيد لأنه لايعمل بما أمر به الله ورسوله ﷺ فالله جل وعلا يقول (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله) فالذى لا يعمل بما أمر به الله ورسوله فانه يحادد الله ورسوله ويعصاهما وكذلك من يوالى من حاد الله ورسوله - فالرسول كان يتزود ليسن لأمته أن يفعلوا الأسباب . ذلك مع أنه فى حديث آخر يقول (لستم كهيئتى فانى أبيت عند ربى يطعمنى ويسقينى) فهو يتزود ﷺ ليسن لأمته ما يفعلوه حتى لايترك التزود أحد بدعوى الاقتداء بالرسول ﷺ فى الحالة الثانية فلا يطيق ويترتب على ذلك ضرر كبير يصيبه فى دينه والعياذ بالله .

استمر النبى ﷺ على هذا الحال حتى جاء رمضان وفى يوم من أيامه جاءه الوحى - وكان من فضل الله تعالى أنه لم يرسل اليه جبريل عليه السلام بصورته .

لو كان الرسول ﷺ وسائر الأنبياء والمرسلين ملكيين فى الظاهر والباطن ما استطاع أن يطيق لقاءهم والتلقى عنهم أحد من البشر . ولو كانوا بشريين فى الظاهر والباطن ما استطاعوا لقاء الملائكة وقبول الوحى عنهم والتجليات الالهية ، ولذلك جعل الله تعالى الرسول برزخا فهو من البشر باعتبار بشريته الظاهرة وجعله باعتبار الباطن نورانيا صافيا كصفاء الملائكة أو يزيد عنهم فيقوى على مقابلة الملائكة والأخذ عنهم كما أنه فى بشريته الظاهرة يستطيع الناس مجالسته والأخذ عنه ما ينفعهم .

فالرسول مثل غيره من البشر بشرى الظاهر (قل انما أنا بشر مثلكم) لكن هناك فرقا وهو (يوحى الى) . يعنى أن الله تعالى اصطفى نبيه ﷺ واجتباه واختصه برسالته وعصمه لكن عوارض البشرية تجوز عليه ماعدا الأعراض المنفرة فلكونه كذلك فقد تعهده الله تعالى ورعاه بعنايته وتولاه بما يطمئنه فكان الوحى يأتى اليه مناما ثم بعد ذلك صار يسمع صوتا كالجرس ثم جاءه جبريل كما جاء فى بداية الوحى فى غار حراء .

والحقيقة والله أعلم أن جبريل عليه السلام له ستمائة جناح وقد طلب منه النبى ﷺ أن يرى منها جناحين فأراه جناحين سد بهما الأفق .

وليس هذا عجيبا ولا مستبعدا على قدرة الحق جل جلاله فان قدرة الله تعالى فوق التصور وما نراه من آيات الله سبحانه وتعالى أعجب ومنها الشمس والقمر والليل والنهار فاذا جاء الليل ولى النهار واذا جاء النهار ولى الليل ٠

ولا يمكن أن يستبعد ذلك ويتعجب منه من يعلم أن الله تعالى هو خالق كل شيء ومنها تلك الأشياء التى تظهر هذه الأيام كالكهرباء والراديو والأشعة وغيرها ٠

جاء الوحى الالهى على يدجبريل عليه السلام ٠ وقد عرف الرسول ﷺ أنه جبريل وعرف جبريل أنه الرسول سيد الخلق ٠ وهذه المعرفة ليست من الآن ولكنها من زمان بعيد من قبل خلق آدم عليه السلام ٠

سئل النبى ﷺ متى وجبت لك النبوة قال (وآدم بين الروح والجسد) ما معنى متى وجبت لك النبوة ؟ هل المعنى متى ثبتت ؟٠ قال بل ان ثبوت نبوته ﷺ كان قبل خلق الكائنات كلها ٠ وهل معناها متى وجبت أى متى أصبحت فى عالم الوجود ٠ كلا فالنبى ﷺ آخر الأنبياء وجودا ـ انما المعنى والله أعلم هو أن نبوتى عرفت للملأ الأعلى وآدم بين الروح والجسد أى لم تخلق فيه الروح ـ فعلم الملائكة أنه ﷺ هو نبى الله وأنه حبيب الله وأنه سيد خلق الله ومن بينهم جبريل عليه السلام ٠

الرسول ﷺ مكث عدة أشهر يأتيه الوحى مناما فقد رأى الملائكة ورأى جبريل ـ اذن هو يعلم أنه ملك وأنه ليس شيطانا ـ ويعلم أنه أمين الوحى ـ وأنه جاءه بالوحى وأنه جاء من عند الله ٠

وجبريل يعلم أن محمدا ﷺ هو النبى وأنه أمى لا يقرأ ولا يكتب فهل يكلفه ما لا يطيق والرسول يعلم أن الآمر جبريل وأن الأمر من عند الله تعالى ٠

اذن كيف يكون الكلام فى الآية هنا ٠

صح الحديث بأن جبريل قال : اقرأ فقال الرسول ما أنا بقارىء قال فأخذنى فغطنى حتى بلغ من الجهد ثم أرسلنى فقال اقرأ فقلت ما أنا بقارىء قال فأخذنى فغطنى الثانية حتى بلغ منى الجهد ٠٠٠ الخ ٠ ثم قال اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق ٠ اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم ٠٠٠ الخ ٠

PDF Compressor Pro

الحاصل : جاء جبريل عليه السلام وهو محال أن يكون جاهلا سبب المجيء أو شخص أو وصف من جاء اليه كل ذلك محال ولا يسلم به وكذلك محال أن يكون الرسول ﷺ يجهل جبريل أو أنه يشك في اصطفائه للرسالة· كل ذلك محال أيضا فهو عالم وجازم بأن الله اصطفاه للنبوة والرسالة وأن هذا جبريل جاء بأمر الله تعالى يحمل اليه البشارة ·

في حديث البخاري رضي الله عنه (فرجع الى خديجة وفؤاده يرجف) اى دائم الحركة وفي رواية (ترجف بوادره) وهي اللحمة التي بين العنق والكتف ـ فسرها بعض المفسرين تفسيرا غريبا ـ والأغرب كما صرحوا به أيضا أنه لما فتر الوحي حزن النبي ﷺ حتى أنه من شدة الحزن ذهب الى خارج مكة وصعد الى الجبل وهم أن يلقي نفسه ولكن جبريل قال له يا محمد أنت نبي الله فرجع ·· والعياذ بالله من هذا الكلام ··· قسما بالله لو وقف المفسرون سلفا وخلفا يقنعوني بأن النبي أراد ذلك لا أصدق· كلا والف كلا · لأن هذا يتنافى مع العصمة · فاحترام العلماء شيء والعصمة شيء آخر ، وكيف يعتقد شخص في أن النبي ﷺ فعل ذلك مع أنه هو القائل « ان من طعن نفسه بحديدة فان حديدته في يده في النار يجأ بها بطنه دائما أبدا ومن شرب سما فان سمه في يده يشربه في النار دائما أبدا · وهكذا كل منتحر ····· الرسول ﷺ يشرع هذا وينهى عن الانتحار · فكيف يتوهم انه يحاول الانتحار ؟ ـ الطفل المسلم الذي يلعب في الحارة لا يعتقد هذا · فكيف يقول هذا عالم ، وهل هذا علم؟ اللهم ان الجهل لأحب الى النفس من علم يشكك في الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ·

ولكن حاصل القصة أنه لما تأخر الوحي كان ﷺ يذهب الى خارج مكة ويصعد الى الجبل حيث كان التجلي · في موضع لقائه بجبريل عليه السلام شوقا الى هذه اللحظات ··· وعلى حد قول الشاعر :

أمر على الديار ديار ليلى ... أقبل ذا الجدار وذا الجدارا

وما حب الديار شغفن قلبي ... ولكن حب من سكن الديارا

لأن هذا الموضع هو الموضع الذي اختلى فيه بربه وهو الذي حصلت فيه التجليات الالهية وهو الذي لاقى فيه جبريل فلعل الله أن يمن ويرسل اليه جبريل فانه مشتاق اليه وهو فقير الى ربه محتاج اليه ·

PDF Compressor Pro

ومما يؤكد هـذا المعنى أنه لا يبعد أن الـكلمة التي وردت في هـذه القصة وهي كلمة « يتردى » أصلها يتراءى أي ليرى جبرين ٠

وقد ورد في الحديث قوله ﷺ (لقد خشيت على نفسي) فمـا هو القول في هـذا الفزع ؟ الرسـول ﷺ قال (انى لأخوفـكم من الله) يعني انه لا يلزم من الخوف الجبن ـ ولا يلزم من الخوف أن يكون سببه توقع مكروه دنيوى أو أن يكون ناشئا عن امر يتعلق بالبشرية ٠

أما الذي يخاف خوف عقوبة فهو المجرم ٠ وقـد يكون خوف المهـابة كخوف الوزراء من الملك أكثر من خوف المجرم من العقوبة ٠ وذلك مع أن الوزير لم يرتكب جرما ولـكنه لـكونه اعرف النـاس بمقـام الملوك فانه يخاف الملك هيبـة منه لأنه يعلم أن مجرد اشـارة يسيطة من الملك أو ايماءة منه تبعـده عن منصبه أو يجوز أن الملك لم يرد عليه تحيته أو سؤاله فيجعله في أسوأ حال ٠ والله سبحانه وتعالى أعلى وأعلم ٠

PDF Compressor Pro

الدرس الثـــانى

بسم الله الرحمن الرحيم

(اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانســان من علق ، اقرأ وربك الأكرم ، الذى علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم)

هذه الآيات الـكريمة أول ما نزل على رسول الله ﷺ كما سبق بيانه كما قررنا . وأن هــذه الآيات نزلت كمــا ورد فى الحــديث الشريف (أن جبريل جاء للنبى ﷺ وقال اقرأ فقلت ما أنا بقــارىء فأخذنى فغطنى الى آخر الحــديث) والحــاصل أن النبى ﷺ يعلم انه جبريل وانه مرسل من قبل الله تعـــالى فلم لا يمتثل لأمر ربه - ما حصــل منه ﷺ ليلة الاسراء هو عكس ذلك لأن جبريل لمــا قال له انزل فصــل هنـــا نزل وبادر بالامتثال وصلى - ولــكنه هنــا قال ما أنا بقــارىء وتكرر النفى من جانب المصطفى ثلاث مرات .

ومن جانب جبريل فانه يعلم أن النبى ﷺ امى لا يقرأ ولا يكتب فهــل يكلفه بالمحال وهو أن يقرأ وهو يعلم انه امى ؟ تأمل :

جبريل قال له اقرأ فهل أعطاه مكتوبا يقرؤه ؟

روى بعض المحدثين أن جبريل جاءه بنمط من ديباج مكتوب فقـــال له اقرأ ..

اذن فهناك كتابة .. وبقاء الأمر على ظاهره يبعث فى النفس شيئا ؟

الرسول صلوات الله وســلامه عليه يعلم أنه جبريل وأنه مرسل من عند الله جل وعلا ويعلم انه نبى وله ستة شهور يوحى اليه منامـا وقــد رأى جبريل مرارا اذن فما معنى النفى .

وأيضا جبريل يأتى بنمط من ديبـــاج مكتوب ثم يقول له اقرأ وهــو يعلم أنه أمى .

PDF Compressor Pro

تأمل اذا علمت ذلك كله وعلمت أن الرسول يعلم نبوته وأن المخاطب له هو جبريل وأنه من عند الله وأنه جاء بالوحى باذن الله ٠ وان جبريل يعلم أن النبى أمى لم يقرأ ولم يكتب اذن فلابد للمسألة من سر ؟ تأمل ٠

كون الرسول ﷺ أمى أعظم فتنة لأن هذا جعل كثيرا من الناس يخوضون فى ذلك لمخالفته للعادة التى جرت ، أن من يتعلم القراءة والكتابة فهو لا يستطيع القراءة فكيف يقرأ النبى ؟ ولكن هذا الذى يخوض فى هذا الموضوع جاهل اذ أن الله تعالى وهو القادر الذى خلق الانسان من علق والذى علم بالقلم قادر على أن يعلم الرسول الأمى من غير قلم ٠

ومن جهة أخرى بعث النبى أميا لكى يسد الباب على المشركين لأنه لو كان يقرأ مثل الذين يقرأون منهم لقالوا انه يقرأ وانه من قريش وانه كان يسافر تظاهرا بالتجارة وهو يتعلم من الرهبان والكهنة فيقولون (**اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا**) (١) لكن اذا عرف أنه أمى لا يقرأ ولا يكتب وانه لو ذهب معهم الى الشام فهو لا يفترق عنهم ومع ذلك فهو يتحداهم بالفصاحة مع أن الفصاحة شيمتهم وميزتهم فهو يتحداهم بأن يأتوا بمثل هذا القرآن ثم يتحداهم بأن يأتوا بعشر سور من مثله ثم يتحداهم بأن يأتوا بسورة واحدة ـ فعجزوا ـ ثم يقول لهم (**لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا**) (٢) كل ذلك وهو أمى لم يقرأ ولم يكتب ٠ اذن فكون النبى ﷺ أمى سد الباب على المشركين ٠

سبق أن قررنا أن فى هذه المسألة سرا فاعلم ان المقصود ـ والله أعلم ـ كما يأتى :

النبى ﷺ لا يجهل جبريل وجبريل لا يجهل أن النبى أمى ٠٠ ولكن تعلم القراءة والكتابة سبب للقراءة والكتابة ٠

واعظم فتنة فى العالم هى الأسباب ولذلك يقولون (الأسباب هى الباب وهى الحجاب) ٠ الأسباب دينية أو دنيوية من تناولها امتثالا لأمر الله تعالى وسلك لكل غاية طريقها ونفذها لأن الله أمر بها معتقدا أن التأثير لله وحده فى كل شىء فانها تكون بالنسبة له بابا يدخل منه

---

(١) آية ٥ سورة الفرقان ٠
(٢) آية ٨٨ سورة الاسراء ٠

PDF Compressor Pro

الى حضرة الله سبحانه وتعالى - وأما من وقف مع الأسباب والمقارنة الظاهرة فرأى انه ان لم يأكل لا يشبع وان لم يشرب لا يرتوى فرأى أن الطعام والماء قد أثرا فى الشبع والرى ورأى أن مزاولة الكتب هى التى أوجدت العلم فان هذه الأسباب بالنسبة له تكون هى الحجاب الذى يحجبه عن الحق وتؤدى به هذه العقيدة فى تأثير الأسباب الى الكفر والعياذ بالله فان من يعتقد ان الأسباب هى التى توجد المسببات فهو كافر باجماع علماء المسلمين - ومن يقل أن الأشياء تؤثر بطبيعتها فهذا كافر بالاجماع ٠

ومن يقل بالطبع أو بالعلة فذاك كفر عند أهل الملة

ومن يقل بالقوة المودعة فذاك بدعى فلا تلتفت

لذلك اقتضت الحكمة الالهية أن يشير القرآن الكريم الى هذا الأصل فى آية واحدة من اول الأمر ٠

والقرآن كله ٠ والتكاليف كلها مبنية على هذه النقطة ٠

فسبق فى علم الله أن ينزل القرآن وجبريل يعلم المأمورية التى هو مكلف بها من قبل الله تعالى لانه رسول من عند الله تعالى بالوحى ولابد وان يعلم رسالته ويعلم تفاصيل ما سوف يفعله بأمر الله تعالى ويعلم قبل أن ينزل انه سوف يضم رسول الله ﷺ ٠ فهو يعلم أنه سوف يقول للرسول اقرأ والرسول يقول له ما أنا بقارىء وانه سوف يضمه اليه الى آخر ذلك ٠

ولا ينبغى أن يفهم غير هذا ولا يجوز غير هذا ٠

فالنقطة الرئيسية وبيت القصيد هى الأسباب ٠ وقف عند الأسباب قوم فكفروا واهملها قوم ولم يفعلوها لادعاء الولاية أو غير ذلك فتزندقوا ٠ وانما الحق أن تزاولها بأعضائك امتثالا لأمر الله تعالى (فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله) (١) معتقدا أن التأثير هلا شريك له - ومن فضل الله تعالى أنه أمر بمزاولة الأسباب وفعلها ولكنه وضع علامة تراها البصائر فان هذا الوادى واسع ان لم يكن فيه

---

(١) آية ١٠ سورة الجمعة ٠

PDF Compressor Pro

فنـار يضل سالـكه ومثال ذلك قول الله تعـالى (فانتشروا فى الأرض) ولـكن هـل الـرزق من ذلك ؟ قال لا لأنه قال فى أية اخـرى (وكلوا من رزقه) (١) فالرزق من الله وبالله ٠ لمـا كان الأمر كذلك بدا الوحى بهـذا الأصل ليبينـه للعبـــاد ٠ فالرسول مع انه أمى فانه سيوضح وسيتلو عليكم البيان لـكى يظهر المراد ٠

لولا الأخـذ والرد بين النبى ﷺ وبين جبريل عليه السـلام لمـا ظهرت الحكمة من تنزيل الآيات الـكريمة من أول كلمة اقرأ الى قوله ما لم يعلم ـ فالرسول ﷺ لولا أنه نفى القراءة بقوله ما انا بقـارىء لـما ظهرت الحكمة من نزول الآيات بهـذا الترتيب والتى هى فى قوة الاجابة عن نفيـه ٠ كما أنها أيضـا تعليم للأمة ـ تفسير الآيات هو والله أعلم : على القول الذى ارتضاه بعض المفسرين ما للمرة الأولى فى قوله ﷺ « ما أنا بقـارىء » للامتنـاع وفى المرة الثانيـة « ما » للنفى المجرد ، وفى المرة الثالثة «ما» للاستفهام بدليل رواية المرة الأخيرة بكلمة كيف أقرأ :

تأمل : على هـذا القول فان جبريل جاء للنبى ﷺ بكتاب ويقول له اقرأ فيقول له النبى « لا أقرأ » امتنـاعا عن القراءة ـ وهـذا غير مقبول وكثير جدا أن ينسب الى رسول الله ﷺ هذا المعنى ٠

والمعنى الذى نرتضـيه والله أعلم هو قوله ﷺ أول مرة ما أنا بقارىء يعنى أنه لقراءة المـكتوب أسباب وجرت العادة أن أسـباب قراءة المـكتوب هى تعلم القراءة وأنا لم أتعلم فأنت تأمرنى بأن أقرأ وأنا لم افعل السبب وهو تعلم القراءة ٠ قال ﷺ فأخـذنى فغطنى أى ضمنى ـ دعك مما قاله بعض المفسرين ـ والمعنى والله أعلم أن جبريل عليه السـلام ضمه فرحا وسرورا لأن التعليمات التى أعطـاها الله لجبريل عليه السلام والمعلومات التى عنده وجـدها بالدقـة عنـد سـيد الخلق ففرح وضمه اليه ٠ كمـا أنهـا فرصـة انتهزها جبريل حتى يصيبه من أنوار المصطفى ﷺ نصيب ٠

وفى المرة الثانية قال له جبريل اقرأ فقـال ما أنا بقـارىء وجبريل يعلم ذلك بتعليم من الله تعـالى له فأخـذه وضمه مرة ثانيـة فرحا ٠ ثم أرسـله ٠

---

(١) آية ١٥ سورة الملك ٠

PDF Compressor Pro

وما معنى « ما انا بقارىء » فى المرة الثانيـــة ؟ لمـا كانت الصورة قـد توهم أنه فى المرة الأولى امتنع عن القراءة فقـد اعاد النفى فى المرة الثانيـــة لتأكيد أنه امتنع عن القراءة لعـــدم قـدرته عليها ـ فنفى القراءة فى المرة الأولى قـد لا يلزم منـــه عـــدم القـدرة عليهـا فهو يؤكد النفى فى المرة الثانية ٠

فالرسول ﷺ يعلم انه جبريل وأنه رسول من عنـد الله بالوحى ولكنه أراد أن يعلم النـــاس ما ينفعهم مما وقع بينـه وبين جبريل فكأنه يقول أن جبريل يسألنى وارد عليه ، ثم يسألنى ثانية وأرد عليه ثم يسألنى ثالثـة ويحصل بعد ذلك ما يحصل كل ذلك ليأخذ منه النـاس فوائد وحكم وأحكام ينتفعون بها الى يوم القيامة ٠

والحاصل ان قوله ما أنا بقـارىء الأولى للنفى والثانيـة لتأكيـد النفى بمعنى أنه لمـا قالهـا أول مرة بالنفى فانه يحتمل انه امتنع مع قدرته فاحتيج لتأكيـد النفى وبيـــان أن المراد هو النفى لعـدم القـــدرة على القراءة ٠ والمرة الثالثة للاستفهام بدليل رواية كيف أقرأ ٠

أما قوله ﷺ فأخـذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد ـ فهـذا من الأمور المألوفة بين الأصـدقاء فان الصـديق من شدة فرحه واشـتياقه لصـديقه يضمه اليه بشدة ـ والمراد أن السبب لا تأثير له فى ايجاد المسبب ـ فان الله تعـــالى هو الذى يفعل بسبب وبغير سبب ولـكن الغـالب انه يرتب المسبب على السبب ٠ فاراد الله تعـــالى أن يظهر ذلك من أول الأمر فقال تعـــالى (اقرأ باسم ربك) ان اسـتعان غيرك بقراءة المـكتوب بتعلمـــه القراءة وبحوله وقوته فاقرأ أنت مستعينا بربك وبحوله وقوته ٠ وأنت اذا قلت باسم الله الرحمن الرحيم تجـد نفسك استاذا ومعلما ٠ فان قرأ غيرك الخط المـكتوب بالقلم وبالتعليم فاقرأ أنت مستعينا باسم ربك ومن تعلم القراءة بالتعلم فربـك الـذى علمـه بالقلم ولا تأثير للسبب ٠ وقطعـــة الخشب لم تعلمـه وانما الذى علمـه هو الله تعـــالى بهذا السبب ٠ فربك الذى ان شاء يقرئك مستعينا باسمه هو وهو الاله الذى علم بالقلم ٠

ما الدليل على أن الله قادر على ان يوجد القراءة فى الأمى بينمـا جرت العادة أن ذلك مستكثر ومستبعد ؟

قال استعن باسم الله واقرأ ـ باسم الله الذى خلق كل شىء خصوصا الانسان الذى يجـادل فى الله تعـــالى ـ فهو الذى أوجد الانسان وخلقه

PDF Compressor Pro

من علقـة من قطعـــة من الدم وأصلها بصقة ـ هل الخالق يعجزه شيء ؟ وهو الذى خلق الانسان وخلق فيـه عينـا تبصر وأذنا تسمع ويدا تبطش ورجلا تمشى وخلق فيـــه العقل والحواس · الذى خلق الخلق جميعا · الأنس والجن والملائـكة والحيوان والنبات · خلق السموات بغير عمـد ترونهـا وأطلع فيهـا القمرين والـكواكب وأنزل من السماء ماء فأخـرج به من الثمرات رزقا » وفى الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الأكل) (١) القصب يشرب الماء فيزداد حلاوة والحنظل يشرب الماء فيزداد مرارة !!·

« اقرأ باسم ربك الذى خلق » وبين لجميع الخلق أن الله تعـــالى هو خالق كل شيء وبين لهم أن الأسـباب لا تأثير لها · حتى لا يضلوا · وبين لهم أن ربك هو الأكرم المتفضل بالنعم كلهـا · نعم الايجاد والامداد · وانه هو الذى علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم والله أعلم ·

---

(١) آية ٤ سورة الرعد ·

PDF Compressor Pro

الدرس الثـــالث

بسم الله الرحمن الرحيم

« اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربـك الأكرم ، الذى علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم ، كلا ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى »

ولقـد نزلت الآيات الـكريمة « اقرأ باسـم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم علم الانسـان ما لم يعلم » على رسول الله ﷺ ثم فتر الوحى بعـد نزول هذه الآيات فترة فكان النبى ﷺ يخرج ويذهب الى الجبل ليتراءى جبريل عليه السلام ـ فرآه ﷺ على كرسى فى السماء فتوجـه الى خديجـة رضى الله عنهـا وقال لها دثرونى دثرونى فنزلت عليه آية المدثر « يا أيها المدثر ٠ قم فانذر » (١) ٠

فالشاهد أن هذه الآية الـكريمة « كلا أن الانسـان ليطغى » نزلت بعـد آية المـدثر ٠٠ لـكن النبى ﷺ بعـد أن رأى جبريل رجع الى مكة وفؤاده يرجف ٠ لا يمكن لعـاقل أن يتصـور أن النبى ﷺ خاف ٠ ولا يجوز أن يقـاس حال النبى ﷺ على حال غيره من الناس ٠ الذى اذا فاجأه احـد أو خاطبـه فجأة فانه يخـاف (ويتخض) ٠ بينما رسول الله ﷺ قد حصـل معـه ما هو أكبر وأشـد من هـذا الموقف فانه فى ليلة الاسراء والمعراج وعنـد المرقاة التـاسعة من المعراج تخلى عنـه جبريل فيقول له (أههنـا يترك الخليل خليله) فيقول له جبريل (مقـامى الى هنـا ولو تقـدمت لاحترقت بالأنوار) ومعنى ذلك ان جبريل لا يحتمل قـوة الأنوار بعـد ذلك أى أن أنواره تتلاشى بعد ذلك اذن نورانية سيد الخلق ﷺ أقوى من نورانيـة جبريل عليه السـلام ٠ وفى هـذا الموطن الذى تخلى فيـه

---

(١) آية ١ ، ٢ سورة المدثر ٠

PDF Compressor Pro

جبريل يقول الحق تبارك وتعالى عن الرسول ﷺ « ماكذب الفؤاد ما رأى ، ما زاغ البصر وما طغى » (١) .

فكيف يقول المفسرون أن النبى ﷺ خاف وعاد وفؤاده يرجف خوفا من جبريل . اذن فماذا نقول فى الحديث وقد رواه البخارى :

(اذا اشتد خوف الانسان فان فؤاده يرجف وكذلك اذا اشتد فرحه فان فؤاده يرجف)

النبى ﷺ ملكى الباطن الا أنه بشرى الظاهر وهذا حتى يستطيع مخالطة البشر ويستطيعون مخالطته ويستطيع ارشادهم مع مباشرة جميع الأمور - الدنيوية - وهذا هو عين الكمال .

لذلك قالوا الولى الصاحى أفضل من الولى المجذوب .

الرسل والأنبياء والأولياء ملكيون فى الباطن ولكنهم يجب ان يرتدوا الى بشريتهم لما فى ذلك من الفوائد الكثيرة التى تعود على البشر . والرسول والنبى يترقى فى الكمالات والولى يترقى فى الدرجات .

فرجوع النبى الى بشريته ترقى فى الكمالات ورجوع الولى الى بشريته ترقى فى الدرجات وبعض الأولياء اذا رجع الى بشريته فانه يصل الى المقام الذى قال فيه الامام الشعرانى (مما من الله على به أن أعطانى « حرف كن » فلو قلت للجبل كن ذهبا لكان ولكن ما قلتها أدبا مع ربى) .

يعنى أن الولى قد يصل الى حالة يتجلى فيها عليه الحق جل جلاله بصفة من صفاته . فمثلا قد يتجلى عليه الحق بصفة القدرة فتكون آثار تجليات هذه الصفة عليه كمثل النار حين تتسلط على الماء البارد فتسلبه صفته وتكسبه صفتها . فالماء البارد اذا وضع على النار تسلطت عليه حرارتها فيسخن وتشتد سخونته حتى يغلى ويندفع البخار فيرفع الغطاء فهذه الصورة صورة ماء يغلى ولكنه فى الباطن نار تحرق وسببه النار المسلطة عليه .

فالمؤمن العاقل اذا سمع أن الولى تتلاشى صفاته فليس من حقه أن يستبعد ذلك .

---

(١) آية ١١ ، ١٧ سورة النجم .

PDF Compressor Pro

فالشوق له نار · فاذا اشتد الشوق على المحب وزادت محبته فانه يصل الى درجة الغليان وكلما اشتدت المحبة كلما اكتسحت نارها شوائب الشهوات البدنية وأزالت من القلب الرطوبات المؤذية ·

واذا تجلى الحق جل جلاله على الولى بصفة قهار فأول ما يشهده قول الله تعالى « وهو القاهر فوق عباده » (١) - فاذا نظر الى البشر شهد قهر الله لعباده فيقول سبحانك يا قاهر واذا كان في حضرة الله فانه لا يرى شيئا ولا يتعلق قلبه بشيء ويعرض عما سوى الله ولا يقبل على الدنيا لأن مرآة القلب لها وجه واحد فقط فلا تتفق طاعة الله وذكر الله مع الالتفات لغير الله ومن باب أولى لا تتفق مع معصية من معاصى الله ·

فاذا تجلى الحق على من يشاء من عباده بصفة من صفاته فان التجليات تكتسح من القلب كل الرطوبات البشرية فيظهر القلب ويتبلور ويستنير فيكون كالمرآة اذا صفت تنعكس عليها الانوار · ولا يبعد ان تنعكس مرآة اللوح المحفوظ على مرآة القلب فلو نظر الشخص منهم الى مرآة قلبه فانه بفضل الله يرى مافى اللوح المحفوظ وما ذلك على الله بعزيز ·

ومرآة القلب لا يمكن أن ينطبع فيها شيء اذا كانت متسخة بالأغيار قذرة بالاعتراض على الله وعدم الرضا بالمقادير وتشوبها الشهوات بل ان مثقال حبة من الحسد أو الحقد أو الكبر يجعل مرآة القلب سوداء ولا ينطبع فيها شيء ·

والأصل فى وضع مرآة القلب أن تكون مقابلة لمرآة اللوح المحفوظ وهذه اشارة من قول الله تعالى « وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون » (٢) · وفى ذلك تصفية القلب وتنقيته من كل الشوائب والأغيار وفى قوله تعالى « ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحياة الدنيا » (٣) اشارة الى أن الواجب أن لا تحول ناظرك الى غير الله واجعل مرآة قلبك فى وضعها الصحيح الذى خلقها الله تعالى فيه ·

---

(١) آية ١٨ ، ٦١ سورة الأنعام ·
(٢) آية ٥٦ سورة الذاريات ·
(٣) آية ١٣١ سورة طه ·

PDF Compressor Pro

اذا علمنا هذا علمنا أن الرسول وهو ملكي الباطن الا أنه بشرى الظاهر كغيره من البشر فهو لا يغيب عن بشريته لأن الغيبة عن البشرية نقص لأنه مرسل الى الناس والى البشر ليعلمهم ويرشدهم ويبين لهم أحكام ما أنزل الله عليه ٠

والدليل على أن النبى ﷺ لا يغيب عن بشريته هو أنه ﷺ بينما يكون فى صلاته وهى قرة عينه فى حضرة الله تعالى لا يخرج منها قلبه اذا سمع بكاء الطفل يخفف فى الصلاة رأفه ورحمة بأمه فمع أن قلبه فى حضرة الحق جل جلاله مستغرقا فى شهوده ٠ فانه لا يغيب عن بشريته ويسمع بكاء الطفل فيخفف من الصلاة رحمة به واشفاقا على أمه حتى لا تبطل صلاتها بالانشغال بابنها الذى يبكى ٠

ونعود للقصة التى معنا فان الرسول ﷺ لما راى جبريل فى الغار ورأى علامات المرض بعد أن عاد لبشريته ورجع الى مكة ودخل على السيدة خديجة وقال لها زملونى زملونى لأنه رأى فرحة اللقاء أثرت فيه وبما يشبه الحمى ـ فأراد أن يأخذ فى أسباب دفع هذه الحمى وهو المشرع لأمته ولم يقل (خليها على الله) بل قال زملونى زملونى لكى يحصل على الدفء فيزول عنه هذا المرض ٠

كل حركات وافعال المصطفى ﷺ لحكمة ٠

حين رجع الرسول ﷺ لبشريته عرف أن السرور قد عمل اضطرابا فى الأعصاب والبدن الذى هو مطية الروح أحس بثقل الحمل فاضطرب البدن بما يشبه الحمى فقال زملونى وهذا يفيد أنه لابد من فعل الأسباب وعدم التواكل فهو ﷺ لم يتكل على نبوته ٠

وقد ذكر ما حدث للسيدة خديجة وهذا يفيد أنه لا مانع من أن يفضى الانسان بسره لصديقه أو لزوجته متى كان العقل والصلاح متوفرا فيهما ٠ ولا يكفى الصلاح فقط فقد يكون صالحا ولكنه (عبيط) ٠

ولذلك يجب على الانسان أن يجالس اهل الصلاح والتقوى والعقل فانه يستفيد منهم وتحصل له بركتهم وقد قيل (ان لله عبادا من نظر اليهم أو نظروا اليه سعد فى الدنيا والآخرة) ٠ فمجالسة هؤلاء القوم مكسب لمن جالسهم ٠ ولكن ينبغى على من يجلس مع من يعتقد فيهم

PDF Compressor Pro

ذلك ألا يترك عمله ، او يقفل دكانه ، لأنه فى هذه الحالة يعصى رب العزة الذى أمر بالسعى فى قوله « فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه » (١) .

وعلامة كمال الانسان أن يأخذ فى الأسباب فاذا كان مريضا فعليه أن يأخذ فى أسباب الشفاء معتقدا أن الشافى هو الله فيشفى باذن الله .

وقد أفضى النبى ﷺ بسره الى السيدة خديجة رضى الله عنها وهى سيدة فاضلة راجحة العقل . وقد تفوق المراة فى رجحان عقلها الوف الرجال . وهذا لا يتنافى مع قوله ﷺ (هن ناقصات عقل ودين) بل أن بعض السيدات امثال السيدة خديجة والسيدة عائشة والسيدة فاطمة والسيدة نفيسة فان قلامة ظفرها تساوى رقاب كثير من الرجال بما فيهم من علماء وفلاسفة .

وعمل المصطفى ﷺ فى استشارته السيدة خديجة ليس حجة لمن يقولون ان ذلك قاعدة عامة فيجب اشراك المراة فى جميع المواضيع واستشارتها فى كل الأمور فان هذا يرد عليه باستحضار من لديها ١٠/١ من عقل السيدة خديجة .

ما معنى قول النبى ﷺ (خشيت على نفسى) ؟ أحسن ما يقال هنا هو خشيت على نفسى المرض .

ومضمون ذلك أن الرسول ﷺ يقول خشيت على نفسى المرض فقلت زملونى أى غطونى لا بسبب شهوة أو حظ نفس ولكن لعلمى أن المرض فى حالات كثيرة يعوق الانسان عن أداء عمله وقد جاءنى الملك برسالة لابد أن أؤديها ولذلك لابد أن تكون صحتى جيدة حتى أستطيع أداء الرسالة فلذلك خشيت على نفسى المرض وقلت زملونى زملونى لكى يذهب ما أنا فيه من مقدمات المرض لكى أستطيع أن أؤدى الرسالة التى أنا مكلف بها والتى بدأها الملك بقوله « اقرأ » .

هذا المعنى لا شىء فيه والله أعلم .

السيدة خديجة رضى الله عنها وهى العاقلة الرزينة الأمينة على السر هى المثل الأعلى فان وجدت امراة عاقلة وآنست فيها العقل والأمانة فمن الحمق عدم استشارتها وعدم البوح لها بالسر وأما ان كانت غير ذلك فلا تلومن الا نفسك .

---

(١) آية ١٥ سورة الملك .

PDF Compressor Pro

ويتضح رجحان عقل السيدة خديجة رضى الله عنها من موقفها مع النبى ﷺ فلما قال خشيت على نفسى كان الرد المناسب هو لا بأس عليك ولكن انظر الى رجحان عقلها حيث فهمت أن النبى ﷺ يقصد أنه أصابه مبادىء الحمى فبادر بتدفئة نفسه حتى يشفى ويستطيع القيام برسالته فقالت له كلا - أى أنك خفت المرض وهو الذى يتمناه عدوك - كلا أبشر فوالله لا يخزيك الله أبدا . أى ان ما تشير اليه لا يحصل أبدا . والرسول ﷺ أخبر السيدة خديجة بما حدث اجمالا ولم يخبرها بما حدث بالتفصيل .

وذلك يشابه ما حدث من النبى ﷺ صبيحة ليلة الاسراء والمعراج فهو قد أخبر قومه بأنه أسرى به الى بيت المقدس ولم يخبرهم بالمعراج الى السماء خشية عليهم فان صدقوه أخبرهم بما حصل له فى المعراج .

وكذلك هنا فالرسول ﷺ أخبر السيدة خديجة أنه جاءه آت وقال له اقرأ وحصل كذا وكذا فأخبرها الخبر اجمالا وقال « لقد خشيت على نفسى » هل الرسول صلى الله عليه وسلم يكره المرض ؟

بعض الأولياء كان يتلذذ بالمرض فالامام الشافعى كان أثناء الدرس يعانى من مرض البواسير حتى ينزل منه الدم فكان يتمايل طربا ويقول (اللهم ان كان هذا يرضيك فزدنى منه) فسمعه أحد أساتذته وقال له فى مقام التعليم (يا محمد لا تقل هذا - سل الله العافية - فان للامتحان رجالا لست منهم) أى أنك قد تصبر وتتحمل ولكن اذا اشتد بك المرض فلا تطيقه فتعترض على الله فيكون هنا الضرر والعياذ بالله .

وقد ورد (أن لله رجالا يتلذذون بالبلايا كما يتلذذ أهل الغفلة بالعطايا) .

اذن فمحال أن تكون خشية الرسول من المرض خشية على نفسه لشخصه .

فهو المشرع للأمة والله يقول « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة » (١) فهو لو لم يتدثر ويحتط لاقتدى الناس به فى عدم الاحتياط وسلوك السبيل للشفاء من الأمراض .

---

(١) آية ٢١ سورة الأحزاب .

PDF Compressor Pro

وأيضـا المرض يعوقه عن أداء ما هو مرسل من أجله ٠

بعض المشايخ كان اذا مرض يطلب الشفاء من مرضـه حرصا على النـاس فهو ينسى نفسه فى مرضـه الشديد الذى لو وزع على كثيرين لأهمهم يخشى عليهم من الـكفر بسبب الاعتراض على الله ولـكنه ينسى نفسه ولا يتـذكر الا شـيئا واحـدا هو منفعـة النـاس ، فـكيف بحال رسول الله ﷺ ٠

فالسيدة خديجة فهمت هـذا المعنى ولذلك قالت (أبشر فوالله لايخزيك الله أبدا) وفى رواية (فلا يحزنك الله أبدا) ثم بعد ذلك ذكرت صـفات رسـول الله ﷺ ومحاسنه التى لو تحقق بعض واحدة منها فى شخص فانه يكون مستجاب الدعوة يكرمه الله وينفع به العباد ٠

والرسول ﷺ متخلق بأمهـات محاسن الأخلاق ومنهـا ما قالتـه السيدة خديجة (انـك لتصـل الرحم ٠٠٠ الخ) والمتصف بهذه الصفات لا يخزيه الله أبدا ٠٠ والله أعلم ٠

PDF Compressor Pro

المدرس الرابع

بسم الله الرحمن الرحيم

« اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم ، الذى علم بالقلم ، علم الانسان مالم يعلم »

اذن لما رجع النبى ﷺ الى مكة فقد رجع الى بشريته ورأى علامات المرض وقال (لقد خشيت على نفسى) المرض - كما سبق بيانه فى الدرس السابق - فكأنه ﷺ يقول علامة المرض ظهرت وأنا فعلت السبب الذى جعله الله لقطع هذا المرض والشفاء منه وانشغالى بذلك لا لنفسى خاصة بل هو للمصلحة العامة لأنه جرت العادة أن المريض لايستطيع أن يقوم لعمله ولا السعى على عياله .

والرسول ﷺ قال له جبريل اقرأ ونزلت الآية الكريمة اقرأ باسم ربك الذى خلق وذلك لكى يقرأ على الناس ويبلغهم رسالة ربه .

فكأنه ﷺ قال أنا مكلف بابلاغ رسالة ربى للناس . وهذا المرض جاءنى فأنا خشيت على نفسى أن يعوقنى عن ابلاغ الرسالة .

فهمت السيدة خديجة ذلك فقالت له كلا . ليس المراد لا تمرض . انما المعنى أنت خائف أن يترتب على هذا المرض حرمان يعوقك عن التعبد وعن نصح العباد ونفعهم لكن لا تخف فان هذا سوف لا يحصل . فأبشر ان الحالة التى رأيتها أنا وأخذت عنها الخبر منك اجمالا انما هى بشرى .

هذا الحديث بين النبى ﷺ وبين السيدة خديجة رضى الله عنها نأخذ منه دروسا وفوائد كثيرة .

أولا : الرسول ﷺ أخبر السيدة خديجة بالخبر اجمالا ولم يذكره لها تفصيلا ولم يخبرها أن القادم هو جبريل عليه السلام وانه جاءه برسالة ربه . والا لتأكدت السيدة خديجة وصدقت كلام الرسول ﷺ ولم تتوجه الى ابن عمها ورقة بن نوفل وتسأله عن الأمر .

PDF Compressor Pro

ثانيا : (تاخذ من ذلك عدة فوائد منها) أن الانسان اذا وثق فى أهل بيته وعلم فيهم الامانة وحفظ السر فلا مانع من البوح لها ببعض هذا السر حتى لا ينكسر قلبها اذا رأته مشغولا ولا يمضى لها بشىء فتتفرق القلوب ويسوء الحال وهذا ليس من الاسلام فى شىء ٠

فعدم الاخبار بالكلية قد يضر والاخبار تفصيلا قد يضر ٠

فالنبى ﷺ اخبر ببعض الأمر ولم ؟ للسيدة خديجة الصالحة التقية المؤمنة العفيفة وهذه شروط يجب أن تتحراها فى أهل بيتك قبل أن تبوح بسرك فالسيدة خديجة بعد أن هدأ النبى ﷺ وزال عنه مابه قالت له « أبشر فوالله لايخزيك الله أبدا ٠ أنك لتصل الرحم ٠ وتحمل الكل ـ وتقرى الضيف الخ) أى أن الله سبحانه وتعالى لا يفضحك ولا يسبب لك غما ٠

ثالثا : ان هذا تعليم للأمة بأن الذى يساعد الناس يساعده الله وان صنائع المعروف تقى مصارع السوء دنيا وأخرى ٠ وان من قدم المعروف ابتغاء وجه الله يتعهده بلطفه ولا يفضحه لأنه حريص على ستر الناس والله يجازيه على حسن عمله خيرا ٠ لذلك يجب عليك أيها المؤمن أن تفعل الخير ما استطعت وان لم تستطع فكن واسطة فى عمل الخير ـ ومثال لذلك ما حصل من سيدنا موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام ليلة الاسراء والمعراج فقد سأل النبى ﷺ مافرض الله عليك وعلى أمتك قال خمسين صلاة قال ارجع الى ربك فاسأله التخفيف فان أمتك لاتطيق ذلك ٠ فقد توسط سيدنا موسى للأمة فى الخير بطلب التخفيف عنهم ـ فكذلك اذا كان اخوك المسلم محتاجا فأكرمه وساعده فى قضاء حاجته فان لم تستطع توسط له فى ذلك فان فاعل الخير محال أن يفضحه الله أو يخذله فمن أحسن لعباد الله أحسن الله اليه ، ومن أكرمهم أكرمه الله ومن سترهم ستره الله ٠

رابعا : فالسيدة خديجة رضى الله عنها ذكرت بعض صفات النبى ﷺ وهى أنه يصل الرحم ويحسن للفقير ويكسب المعدوم ويعطيه عطاء لا يشعره بأنه سائل لذلك يجب على المسلم الا يهين السائل وأن لا يشعره بمذلة السؤال وألا يكسر خاطره وألا يضع يده فوق يده وألا يعطيه أمام الناس فكأنك بهذا العمل جعلته كاسيا لا سائلا ٠ ومن هنا ما أمرنا به ﷺ من اخفاء الصدقة (صدقة السر تطفىء غضب الرب) وصاحب الصدقة الذى لا تعلم شماله ما أنفقت يمينه من السبعة المظلين تحت ظل العرش يوم لا ظل الا ظله ٠

PDF Compressor Pro

لذلك كان بعض السلف الصالح يتصدق فى الليل ، ويعطى المحتاج سرا وهو يخفى وجهه حتى لا يراه السائل ولا يراه الناس . وهذا هو الاخلاص فى العمل لله وحده لا شريك له ومن رزقه الله الاخلاص فانه يسعد دنيا واخرى .

ولذلك فان السيدة خديجة رضى الله عنها قالت كلا وأبشر فوالله لا يخزيك الله ابدا فانك تصل الرحم الى آخره وبالجملة تعين على نوائب الدهر أى أننى لا أستطيع أن أعدد صفاتك الحسنى وبديع أخلاقك . وماذا تستطيع أن تفعل السيدة خديجة ؟ رضى الله عنها أو غيرها فى تعداد صفات المصطفى ﷺ الذى أثنى عليه الحق جل جلاله .

خامسا : النبى ﷺ أخبر السيدة خديجة بالخبر اجمالا ولو كان أخبرها تفصيلا ما كانت لتذهب الى ابن عمها ورقة بن نوفل وذلك لكى يشرع النبى ﷺ للأمة فانه اذا جاءتك الشهادة لصالحك من الغير فهذا أبلغ وأحسن . ويساعد على الفهم بأن النبى ﷺ لم يخبرها بالمسألة تفصيلا أنها لم تقل له والله انك لمبعوث بل قالت له ما قالت مبشرة ومعتمدة على حسن اخلاقه وكريم سجاياه ، مثل من يبشر شخصا طائعا محسنا بأن الله ينصره ، أرسل الله رسوله ﷺ نبيا ورسولا فسكت حتى يأذنه الله بالتصريح فهو أمين سر المملكة الالهية . ولا يصح لأمين السر أن يبوح بسره من أول الأمر حتى يصدر له الاذن بذلك .

أما من يدعون الولاية والكشف ويبوحون بأسرارهم فمنهم من هو مستدرج والعياذ بالله ومآله الى أن يسحب منه النور (سنستدرجهم من حيث لايعلمون) (١) بل ان فرعون لم يدع النبوة بل ادعى الالوهية ثم اخذه الله اخذ عزيز مقتدر .

سادسا : السيدة خديجة عرضت على الرسول ﷺ أن تعرض الأمر على ابن عمها ورقة بن نوفل فوافق . ليس للناس أن يكتموا أسرارهم وأن ينتظروا حتى تتحقق لهم البشرى وأن يظهر نجاحهم وتأييدهم على ايدى الغير .

وأقر السيدة خديجة على أن تأخذ الخبر من جهة أخرى غير جهة النبى ﷺ . والخبر الذى سوف يخبره بها ورقة هو ماعند الرسول . فلذلك يزداد فرحها - وهذا والله أعلم فى الحقيقة - هو الأنسب والأليق .

---

(١) آية ١٨٢ سورة الأعراف .

PDF Compressor Pro

قالت لورقة يا ابن عم اسمع من ابن أخيك لـكون أحد أجداد ورقة اخ لأحد أجداد النبى ﷺ او على عادة العرب ان يقول الشخص للرجل الـكبير يا عم فيقول له يا ابن أخى ، وبه يجاب عن قول الله حكاية عن سيدنا ابراهيم عليه السـلام (اذ قال لأبيه آزر) وآزر هـذا كافر ليس طاهرا والنبى ﷺ من سلالة ابراهيم الطاهرة ، والـكافر ليس طاهرا ، وآزر لم يكن أبا لسيدنا ابراهيم بل كان عمه ،

والرسول ﷺ قال لورقة بينما أنا أتعبد اذ جاءنى الملك وقال اقرأ فقلت ما أنا بقارىء فأخذنى فغطنى ،، الى آخره ،

فقال له ورقة هذا الناموس الذى أنزله الله على موسى ،

لم يذهب الرسول ﷺ ليسأل عن الطالع كما يذهب كثير من النـاس ليسألوا عن الطالع او يسألوا المنجمين فالرسول قد نهى عن ذلك ،

وقد أشارت السيدة خديجة للجواب عن ذلك بقولها أن ورقة بن نوفل كان امرأ تنصر فى الجاهلية وكان يقرأ الانجيل بالعبرية والعربيـة وكان قـد اجتمع بالرهبـان الذين اتبعوا عيسى حقـا فأخذ عنهم وكان يعبـد الله على دين عيسى عليه السلام ورأى بعقله أن عبـادة الأوثان والأصنام المنحوتة من الحجر لا تليق بعـاقل ، وتعلم من الانجيل أنه سـيأتى نبى صـفته كذا وكذا وأن قومه سيخرجونه من مكة ، وقـد تعلم لغـة الانجيل ولغتـه الأصليـة هى العبرية فصـار يترجم من الانجيل الى العربيـة وفى الانجيل قول الله تعـالى لعيسى عليه السلام (ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه احمد) (١) ،

فلذلك قالت خديجة فى نفسها ان ورقة يعلم الانجيل فان رأى محمدا ورأى أوصـافه وسمع خبره فانه يعرفه وخصوصا وأنه عنده علم أيضـا بالتوراة وفيها كذلك وصف النبى ﷺ ،

وبمناسبة ذكر التوراة فيـلاحظ ان التوراة تشبه القرآن من وجهين الأول أن فيهـا حكما يعمل بها النـاس ويستفيدون منها والثانى أن أنبياء بنى اسرائيل يعملون بما جاء فى التوراة فهم يأخذون من مرجع واحـد وهـو التوراة ولذلك قال ﷺ (علمـاء امتى كانبيـاء بنى اسرائيـل) لأن

---

(١) آية ٦ سورة الصف ،

PDF Compressor Pro

علمـاء الأمة ياخـذون من مرجع واحد وهو القرآن والنبيـاء بنى اسرائيل يأخذون من مرجع واحد هو التوراة ٠

فورقة ابن نوفل علم أن ما فى التوراة أو الانجيل من أوصاف النبى ﷺ تدل على أن محمدا هو النبى فقـال مبشرا له هذا هو الناموس الذى أنزله الله على موسى (وليتنى أكـون جـذعا أو أكـون حيـا حين يخـرجك قـومك) فقـد علم أنه مكتوب فى التـوراة والانجيـل أن النبى يخرجه قومه ٠

فالنبى ﷺ مشى مع المنطق وليبين للسيدة خديجـة أنه لا تنـافى ولا تعـارض بين ما ذكرته وما ذكـره ورقـة لأنهـا قالت له (والله لا يخزيك الله أبدا انك تصـل الرحم وتحمل الـكل وتكسب المعدوم الخ) وهـذه أوصـاف تجعـله محبوبا بين النـاس ٠ ورقـة قال : (ان قـومه سيخرجوه) فـكيف يخرجون شـخصا محبوبا له هـذه الصـفات من غير سبب ٠ فأراد الرسـول ان يبين ذلك امام السيدة خديجة فقال (أومخرجى هم) الاستفهام عن محذوف والواو عطف فالمعنى أمعـادى ومخرجى هم لأن الاخراج يترتب على شىء وهو العـداوة فقـال ورقة نعم ٠ الرسول يقول هل يعـادوننى ويخرجوننى ولا يكون هنـاك سببا للعـداوة لأن ذلك يبعد كل البعـد بحسب العـادة ٠ والعـداوة تكون من الطرفين وهل يحصـل منى سبب للعـداوة فيخرجوننى لهـذا السبب ٠ فـكان ورقـة يقول نعم هم يخرجونك ولـكن العـداوة من جانبهم ٠ والسبب من جانبـك يوجب محبتك ولـكن الحقد فى قلوبهم يبدل المحبة الى عداوة ٠

والحقـد منتشر فى هـذه الأيام والعيـاذ بالله ومثلا الشخص الغنى ميسور الحال فى بلده وجوده فى البلد يجعل الخير يعم على الفقراء لأنه يستطيع أن يوجـد عملا لـكثير منهم لـكن الحقـد والعيـاذ بالله يجعل بعض القلوب تغلى فترى الحقود يود أن يخـدم الـكافر من عباد النار ولا يخدم عند المسلم ويتمنى له الخراب والعياذ بالله ٠

فيكون معنى ما قاله ورقـة للنبى ﷺ ان قـومك يعـادونك لا لأنـك أسأت اليهم بل ما يصـدر منك هو الخير الذى يستدعى محبتك وقـد قرأت فى التوراة آية يا حسرة على النـاس لأنهم دائما يخالفون الرسل (ياحسرة

PDF Compressor Pro

على العبـــاد ما يأتيهم من رسـول الا كانوا به يستهزءون) (١) · (ان كل الا كذب الرسل (٢) ·

وتفهم من ذلك السيدة خديجة أن قومه سوف يخرجونه لا بسبب اساءة تصدر منه لأن أفعـاله توجب محبتهم له لكن العقد يحول المحبة الى بغض له ·

يقول ورقة نعم لم يأت أحد بما أتيت به الا عاداه قومه ·

يعني لا يأتي أحد قوما بما يخالف عاداتهم الا كرهوه وعادوه ولو كان ما أتى به هو الحق ·

ونرى في هذا الزمان أن من يأمر الناس بأداء الصلاة في مواعيدها وترك المحرمات فانهم يعادونه ويغضبون عليه ·

لذلك كان جواب ورقة ـ والامر كله تشريع ـ (لم يأت أحـد بمثل ما جئت به الا عودى) لأنـك تفضح أعمـالهم وتظهر مساوئهم وتأمرهم بالصـلاة وتبين لهم أن تارك الصـلاة يتعرض للعنـة الله · وتأمرهم بترك الخمر وهي محببة اليهم وأنه لا يحل النظر لغير الزوجة والأم والمحـارم والرسول يقول من نظر الى ما لا يحل له كواه الله بمسامير نار يوم القيامة وأن العينـان تزنيـان وزناهمـا النظر واليدان تزنيان وزناهما اللمس بل اللسـان يزني اذا تـكلم بالهجو والفـواحش والفم يزني وزناه القبـلة الحـرام ·

اذن سبب المحبة هو سبب العـداوة عنـدهم لأنهم يريدون أن يرتكبوا المحرمات من الخمر والميسر والزنا كيف شاءوا · وأن يأكلوا ويشربوا كيف شاءوا وأن يأكل القوى منهم الضعيف وان يفعل كل منهم مايريد بلا رقيب ولا حسيب · وهذا هو حاصل القصـة والله أعلم (فلم يلبث ورقـة أن توفي وفـتر الوحي) أي تأخر نزول الوحي · والله سبحانه وتعـالى أعلى وأعلم ·

---

(١) آية ٣٠ سورة يس (٢) آية ١٤ سورة ص

PDF Compressor Pro

الدرس الخامس

بسم الله الرحمن الرحيم

« كلا ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى · ان الى ربك الرجعى »

كيف يقولون انه لما فتر الوحى ذهب النبى ﷺ الى الجبل ليتردى إن من يقول هذا كاذب من غير شك ·

لما تأخر الوحى ذهب النبى ﷺ ليتراءى اى ليرى جبريل فى الموضع الذى سبق له أن رآه فيه · هذا ما حدث ·

ويؤخذ من ذلك انه يصح للانسان أن يذهب الى الموضع الذى حصلت له فيه تجليات وان يتردد عليه عسى أن يمن الله عليه بالتجليات مرة ثانية وثالثة ·

وكذلك اذا دخلت مسجدا من المساجد فيصح أن تتلمس فيه الأماكن التى جلس فيها الأفراد المقبولون عند الله تعالى عسى أن يصيبك من أثر الرحمة شىء · وهذا تبرك بالآثار وقد حصل مثل ذلك من رسول الله ﷺ ليلة الاسراء والمعراج حين قال له جبريل انزل فصل هنا ونزل ﷺ فصلى فى الأماكن المباركة التى سبق أن تجلى فيها الحق على بعض الأنبياء السابقين ·

وكذلك فان بعض الأماكن مذمومة فمثلا اذا جاء الحاج مكانا مخصوصا بعد المزدلفة فانه يستحب له اذا كان راكبا أو ماشيا أن يسرع لأن هذا المكان هو المكان الذى نزل فيه العذاب على أصحاب الفيل ·

وقد ترى أرباب البصائر يسرعون اذا مشوا او جالسوا قوما عصاة فانهم يرون العذاب النازل عليهم كالدخان الأسود ·

ومن هذا تظهر حكمة خروج النبى ﷺ للجبل أثناء فترة تخلف الوحى · فالشخص اذا تأخر عنه غذاء روحه يجب أن يذهب ليبحث عنه ·

ترتيب الآيات القرآنية توقيفى كما هو معلوم باتفاق الآراء وترتيب السور كذلك على الصحيح ·

PDF Compressor Pro

(اقرأ باسم ربك الذى خلق الى قوله تعالى مالم يعلم) نزلت فى غار حراء ثم فتر الوحى لمدة سنتين ونصف والبعض قال ثلاث سنوات ولا خلاف فى ذلك اذ أن النبى ﷺ ابتدأ الوحى عليه هناما فى شهر ربيع ثم يقظة فى رمضان ثم فتر الوحى سنتين ونصف ستة ٠

وكان جبريل عليه السلام فى كل مرة يجالس فيها النبى ﷺ يبلغه ترتيب آيات القرآن الكريم فيقول له ضع هذه الآية فى مكان كذا بين آية كذا وآية كذا ٠

نزلت الآيات الكريمة اقرأ الى قوله مالم يعلم ثم لما فتر الوحى ذهب النبى ﷺ ليتراءى جبريل فرآه جالسا على كرسى وقد سد الأفق فذهب الى خديجة وقال لها دثروني دثروني كما ذهب لها أول مرة ٠

وبعد ذلك بمدة نزلت (كلا ان الانسان ليطغى) ٠ بعض المفسرين حمل كلمة « كلا » على غير النفى لعدم وجود مناسبة ٠ وقد تكون بمعنى « ألا » الاستفتاحية أو بمعنى حقا فيصير المعنى حقا ان الانسان ليطغى وهذا ان صح معنى فانه لا يصح لفظا لأن همزة ان مكسورة ٠ واذا كانت بمعنى ألا الاستفتاحية فالمعنى تنبهوا ان الانسان ليطغى ٠

وجبريل عليه السلام يقول للنبى ﷺ ضع هذه الآية (كلا ان الانسان ليطغى) الخ ٠ فى هذا الموضع من السورة الكريمة اذن فلابد أن يكون هناك ارتباط وأن تكون هناك مناسبة وهذا كله يحتاج (لكلام فى الدرس القادم ان شاء الله) ٠

PDF Compressor Pro

الدرس السادس

بسم الله الرحمن الرحيم

(اقرأ باسم ربك الذى خلق ... الى آخر الآية)

تقرر أن القرآن الكريم نزل من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا كله ليلة القدر ثم نزلت آياته فى ثلاث وعشرين سنة حسب الوقائع وما حدث من الأمور ومن الأسئلة وكان جبريل عليه السلام يقول للنبى ﷺ ضع هذه الآية فى سورة كذا بين آيتى كذا وكذا .

فقول الله تعالى (اقرأ .. الى قوله مالم يعلم) بعده كما فى اللوح المحفوظ « كلا ان الانسان ليطغى » فهذا هو موضعها فكيف لا تكون هناك مناسبة بين هذه الآية وما قبلها ؟ اذا لم تكن هناك مناسبة فقد تكون الجملة ركيكة وهذا لا يعقل فى كلام الله تعالى اذن لابد أن تكون هناك مناسبة وأن يكون هناك ارتباط .

تأمل : اذا كانت كلا للردع أو للزجر فانها تكون مرتبطة بما قبلها فيتوقف عليها . وان كانت بمعنى حقا أى حقا ان الانسان ليطغى لتكون مرتبطة بما بعدها فلا يتوقف عليها . تأمل لتجد المناسبة والارتباط .

حاصل ماسبق أن جبريل جاء بالآيات اقرأ وما تبعها فى نمط من ديباج مكتوب فقال اقرأ فقال له النبى ﷺ نافيا ما أنا بقارىء أى لا أعرف القراءة لأنى لم أتعلمها - وكما سبق ذكره فان جبريل يعلم ذلك والرسول يعلم أن جبريل أتى من عند الله وبأمره تعالى فكيف يمتنع مع أنه فى ليلة الاسراء نزل فصلى حينما قال له جبريل انزل فصل هنا ويدون أن يسأله عن السبب حتى تبرع جبريل بقوله أتدرى أين صليت الخ .

ولكن هنا النبى ﷺ يعلم أن هذا هو جبريل وليس شيطانا كما يقول بعض الملاحيس ويقول له ما أنا بقارىء نافيا مع علمه بأنه جبريل وجبريل يعلم أنه لم يتعلم القراءة .

لكن الغرض والله اعلم أن الله تعالى أراد أن يقيم التشريع على أسس متينة من أول الأمر بما يصدر من جبريل ومن النبى ﷺ . والحديث

PDF Compressor Pro

الذى يدور بينهما ثم ذهاب النبى ﷺ الى السيدة خديجة وقوله زملونى زملونى ثم ذهابهما الى ورقة بن نوفل وما يقوله ورقة ثم فتور الوحى وذهاب النبى ﷺ ليرى جبريل فى السماء فيحصل له ما حصل فى مبدأ الوحى فيذهب الى بيته ويقول دثرونى دثرونى لتنزل آية المدثر . ثم تنزل بعد ذلك (كلا ان الانسان ليطغى) ويقول له جبريل ضع هذه الآية فى هذا المكان .

تأمل : يقول جبريل للنبى ﷺ اقرأ فيقول ما أنا بقارىء، أى أن القراءة مسبب لابد لها فى سنة الله من سبب وهو التعليم وأنا لم أتعلم ولم أحصل السبب . ثم ما حصل من الضم فانه كما قلنا من شدة الشوق ومن فرحة جبريل بمطابقة ما أخبره الله به لحال النبى ﷺ كما يحصل اذا اعجب شخص بشخص آخر لسبب ما فانه يعانقه .

وكرر الرسول قوله ما أنا بقارىء مرة ثانية . واحسن ما يقال هو أن الأولى للنفى كما قدمنا والثانية لتأكيد النفى حتى لا يتوهم أن الامتناع كان مع المقدرة والثالثة للاستفهام . وباختصار لما كان الموضوع يحتمل أن النبى ﷺ لا يعرف القراءة وأنه لا يريد القراءة فقد كرر فى المرة الثانية النفى ليؤكد انه ما امتنع عن القراءة مع قدرته عليها وتحصيله السبب بل امتنع لأنه لم يحصل السبب وهو تعلم القراءة .

فلذلك قال جبريل (اقرأ باسم ربك) أى انك صادق فى أنك لم تحصل السبب لكن فعل الله سبحانه وتعالى لا يرتبط بالأسباب . والدليل أن الله تعالى خلق الانسان من علق . فالذى خلق انسان من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة هل يعجز أن يعلم بغير القلم . وأيضا فان القلم وهو السبب فى تعلم القراءة والذى جعل الناس يركنون للاسباب ويعتقدون فيها التأثير وهذا كفر والعياذ بالله هذا القلم مخلوق لله والقلم لم يعلم بل الذى علم بالقلم هو الله تعالى ـ وقطعة الخشب لا تأثير لها مع الله ـ بل أن آدم عليه السلام علمه الله الأسماء كلها بلا قلم .

فقول النبى ﷺ ما أنا بقارىء أى انه لم يفعل السبب ومن لم يفعل السبب لا يحصل على المسبب ـ وهذا أساس وتأسيس للتنبيه على أن كل من لم يفعل السبب لا يحصل على المسبب .

PDF Compressor Pro

فالجنة مسبب ولها أسباب فمن لم يفعل أسباب دخول الجنة لا يحصل عليها ولا يدخل الجنة . واذا فعل أسباب دخول النار فان ما يحصل عليه هو مسبب ما فعله وما سلك أسبابه وهو دخول النار .

هذا لنعلم أن هذا هو أساس من أسس الدين .

لذلك قال له جبريل اقرأ باسم ربك ـ اقرأ مستعينا باسم ربك الذى خلق ـ لأن فعل الله تعالى لا يترتب على الأسباب . انما شرع الله تعالى الأسباب لكى يثيب العباد فمن فعلها وزاول الأسباب كما أمر الله تعالى كان له تحقيق المسبب . ومن ترك الأسباب بغير عذر لم يحصل له المسبب .

وفى هذا المجال نرى أن بعض الصالحين قد يترك الأسباب (١) وذلك لأنه مضطر أو معذور أو مغلوب على أمره كمن سكر بخمرة التحقيق ـ ومثل هذا لا يصح أن يقتدى به واذا كان قطبا من الأقطاب فى عقيدتك . فلو قال لك اجلس وأنت تسمع الآذان للصلاة فعليك فى هذه الحالة أن تسلم له حاله وتحسن الظن به لأنه فى حالة لا يستطيع فيها سماع الآذان ولا غير الآذان ثم تقوم لأداء الصلاة وتجيب داعى

---

(١) المقصود بالأسباب التى يتركها أحد الصالحين . هى الأسباب الشرعية الموصلة الى الجنة . وهذه المسألة تحتاج الى بيان لنفهم كلام العارف الدومى رضى الله عنه .. فكيف يكون الشخص من الصالحين ويترك الأسباب الموصلة الى الجنة ؟ قال العارف لأنه مضطر أى واقع تحت ظروف ، أو عنده عذر كمن سكر بخمرة التحقيق . وهو ما يعرف بالمجذوب .

فمثل هذا اذا كنت تعتقد صلاحه من سابق عهدك به قبل الجذب ، أو أنه أشتهر بالجذب بين الناس ، أو شهد له عارف . فما موقفك منه ؟

أولا : احسان الظن به وعدم الاعتراض عليه لأنه فى غيبه .

ثانيا : عدم تقليده فى ترك الأسباب مثل عدم القيام للصلاة عند دخول وقتها .

ثالثا : ليست هذه الحال من الشريعة ولا من التصوف بل الشريعة العمل بالكتاب والسنة . والتصوف زهادة فى الدنيا وخوف ورجاء . انها حالة تترك بلا اعتراض ولا تقليد ولله فى خلقه شئون .

PDF Compressor Pro

الله فان ذلك من الأعمال الصالحة التى تثاب عليها اذا فعلتها وتعاقب عليها اذا تركتها .. « من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها » اما من عنده حالة من حالات الجذب فانه يسلم له حاله ولا يتبع فيه .

اقرأ باسم ربك : حصل المطلوب وهو القراءة مستعينا باسم ربك. ان استعان غيرك بالأسباب فاستعن أنت بمسبب الأسباب لأن المعلم عند وجود الأسباب هو الله تعالى والذى خلق كل شىء وخلق الانسان من علق وأوجده من عدم هو الله وحده ولا يعجزه أن يعطى بلا سبب . وانما خلق الله الأسباب وجعلها مقرونة بالمسببات امتحانا وابتلاء للعباد - فهو الذى علم بالقلم - وهو الذى علم الانسان ما لم يعلم ، فلا القلم علم ولا المدرس علم ولكن الله هو الذى علم - سبحانه وتعالى ، اقرأ على الناس وعلمهم - انه لابد من فعل السبب فمن فعل السبب يصح له انتظار المسبب ومن أهمل السبب لا ينتظر حصول المسبب . واشرح لهم أنه لما قال لك جبريل اقرأ قلت له ما أنا بقارىء تعنى أنك لم تفعل سبب القراءة وهو التعلم . اقرأ على الناس أن ربك الذى أوجدك وأوجد الكائنات ورباك ورباهم بنعمه هو الأكرم - تكرم بالنعم وكرمه ملازم - فهو أكرم من كل كريم وفوق كل كريم . كرمه كرم حقيقى أما الكرم الذى نراه من أى كريم فانه يقصد به علة فاذا لم يقصد بكرمه وببذله علة دنيوية فانه يقصد علة أخروية .

اقرأ وربك الأكرم المتفضل بالنعم على عباده وخصوصا عليك انت فقد فضلك الله وخص جنابك الأعظم بالنعم الخصوصية فقد اصطفاك من جميع خلقه وأدبك فأحسن تأديبك وجعلك أول الخلق وجودا وآخر الأنبياء بعثا وأول من يكون فى عرصات القيامة وأول من يدخل الجنة وجعل أمتك هى الأمة الأخيرة ليكونوا شهداء على الأمم السابقة ولا يشهد عليهم أحد يطلعون على عورات الأمم السابقة ولا يطلع على عوراتهم أحد .

ربك الأكرم هو الذى علم بالقلم - وهو الذى خلق كل شىء - وهو الذى خلق الانسان من علق . وعلم القراءة والكتابة بالقلم وربك المتصف بكل هذه الصفات هو الذى علم الانسان بغير سبب مالم يعلم .

فزجرا لمن يقف عند الأسباب أو يعتقد أن المؤثر لها فانه يكون كافرا قد نسب لله شريكا والله منزه عن الشركاء منزه فى الذات والصفات

PDF Compressor Pro

والأفعال لأن التأثير لله وحده لا شريك له لا للقلم فى التعليم ولا للأبوين فى الولد ٠

أول ما خلق الله خلق آدم أبا البشر من التراب ثم خلق حواء من ضلع من أضلاعه ثم لما تأخر الزمن وتعلق الناس بالأسباب خلق عيسى بغير أب وضرب الله مثلا لقدرته حتى يتخلص الناس من ورطة التعلق بالأسباب ٠

اعتقد الناس فى الأسباب واعتقدوا أنه من لم يفعل الأسباب لا يحصل على المسببات وأن من لم يفعل كذا لا يحصل له كذا ٠

واعتقدوا أن من لم يذهب للوزير الفلانى لا يحصل على الوظيفة حتى أن الواحد منهم يدفع رشوة ويبيع بعض أثاث بيته ليقدم رشوة للموظف ليقضى له مصلحته معتقدا أن من لم يفعل ذلك لاتقضى حاجته ٠

مع أن الله سبحانه وتعالى اذا لم يرد قضاء الحاجة فانها لا تقضى مهما صرف من الأموال والرشاوى ٠

فما كفر من كفر الا بسبب الاعتقاد فى تأثير الأسباب فهى على حد قول من قال : (الأسباب هى الباب وهى الحجاب ، فمن وقف مع الأسباب كانت هى الحجاب على قلبه والعياذ بالله (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) (١) فترى على قلبه ظلمات تحجبه عن رؤية الحق فقد يرى الحق باطلا ويرى الباطل حقا وقد يرى الحرام حلالا ويرى الحلال حراما يستثقل الصلاة على الرسول ﷺ وقراءة القرآن ويستخف الغيبة والنميمة وفاحش الكلام ـ وتعميه حجب الغفلة عن ذكر الله مع أن هذا الغافل جده (٢) فرعون فعل ما هو أكثر منه وكانت عاقبته مشينة والعياذ بالله نقول أن الله تعالى قال : (كلا) يفهم منه أنه لا تأثير لشىء فى شىء ما ٠ والفاعل هو الله وحده لا شريك له والدليل واضح والداعى قد أسمع وقد بلغ وقرأ عليكم فما التحير بعد هذا الا من العمى ٠

---

(١) آية ١٤ سورة المطففين ٠

(٢) جده لأنهما اشتركا فى تسب العصيان فكأنه حفيد لفرعون ٠

PDF Compressor Pro

وقد قام الدليل على أن الله أوجد المسبب بلا سبب فقد خلق كل شيء من العدم وخلق الانسان المتكلم السميع البصير من العدم . فالخلق والايجاد والامداد لله وحده لا شريك له والتأثير لله . كلا زجر لمن ينسب التأثير لغير الله .

واذا كان الداعي قد بلغ وأسمع فهل استجابوا له جميعا . الحقيقة أن أكثر الناس وقف مع الأسباب . وقفوا مع الظاهر ولم تسع عقولهم غير المادة التي جعلوها فوق كل شيء حتى تراهم من شدة تمسكهم بالمادة يرجعون الآية الى كلام المستر فلان أو الفيلسوف فلان ؟ (١)

كلا . فالدليل واضح والله تعالى كلف رسوله وقد بين ﷺ (وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس مانزل اليهم) - فالرسول قد فعل وقد أدى الرسالة وبلغ الأمانة ويجب علينا أن نمتثل لقول الله تعالى « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » .

وانما خالف من خالف بتجاوزه الحد وكفره وطغيانه حتى أن الواحد منهم بسبب طغيانه والعياذ بالله يركب رأسه ويعتقد أنه مستغن بنفسه عن رب العزة جل وعلا - يستغني بقوته - أو بجاهه - أو بعشيرته - أو بعلمه - فتراه يحتقر غيره ويأنف من سماع نصيحة أو كلمة من العلم - ولو كانت حقا وهذا من شدة جهله وحمقه وعدم استماعه للنصيحة وكلمة العلم ان لم تتداركه عناية الله مات كافرا والعياذ بالله .

ومنهم من يدعي العلم مع أنه لو كان عالما حقيقة فان حرارة العلم تحرق رطوبة الحسد والغرور والشمخة الكاذبة لأن العلم نور يقذفه الله في قلب من يشاء من عباده والنور يطرد هذه الظلمات من القلب ولكن من كان علمه في اللسان فهو ينقل الاعراب وشرح الحديث وقول فلان وفلان ولا تغنيه شقشقة اللسان وهذا ما تشير اليه الآية الكريمة (انما يخشى الله من عباده العلماء) (٢) فان العلم يبعث في القلب الخشية والخوف من الله تعالى اى أن العلم كالكير ينفخ في القلب حرارة الخوف من الله فتطرد وتمحو منه الشهوات والأمراض القلبية مثل الحقد والحسد والغرور والأمن من مكر الله تعالى .

---

(١) يعني يفهمون هذه الآية وغيرها أيضا في ضوء التفسيرات المادية حتى وان كانت مخالفة لروح النص .

(٢) آية ٢٨ سورة فاطر .

PDF Compressor Pro

فاذا كانت حرارة النار تجعل الماء يغلي ويتبخر ولا يبقى في الاناء المملوء بالماء الا جزء صغير من الماء الصافي النقي ، فان حرارة العلم تتسلط على العالم فترى جسمه ناحلا ضئيلا كما يقولون « جلدة على عضمة » .

(كلا ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى) . الانسان يطغى وسبب الطغيان الاستغناء . الله سبحانه وتعالى فعال لما يريد (انما امره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون) فهو جل جلاله يفعل بسبب وبغير سبب ـ لكن الله شرع الأسباب وربطها في سابق علمه بالمسببات ـ وأمرنا بمزاولة الأسباب ومباشرتها وفعلها بدون الاعتماد عليها فان ذلك شرك بالله ـ فزجرا لمن اعتمد عليها واعتقد التأثير لها ـ فما كفر من كفر وطغى من طغى الا بعد أن اعتمد على المادة وزعم أنه يتعاطى الأسباب لابد من حصول المسببات واستغنى بذلك عن الله .

« ومن شأنه كذلك يناسبه حكاية جحا الذي قابله شخص وهو سائر في الطريق فقال الى أين أنت ذاهب يا جحا ؟ قال الى السوق اشتري حمار ، فقال له قل ان شاء الله فقال جحا لماذا ؟ النقود في جيبي والحمار في السوق . فلما ذهب الى السوق سرقت نقوده فلما عاد قال له صاحبه ماذا فعلت يا جحا ؟ قال النقود سرقت ان شاء الله » (١) .

ونعود الى ما كنا بصدده ونقول انه لا تأثير لشيء في شيء ما . والله وحده هو القادر على أن يعطي بسبب وبغير سبب ولكنه شرع الأسباب فاغتنموها وزاولوها لكن لا تنهمكوا فيها ، وأجملوا في الطلب(٢) فان الرزق مقسوم فلا تتوغلوا في الأسباب ولا تستعملوا الطرق المحرمة

---

(١) المقصود من ذكر القصة واضح وهو أن « جحا » نسي المشيئة لما رأى الأسباب قد اكتملت لديه واعتقد أن السبب واقع حتما .

(٢) اشارة الى قول رسول الله ﷺ « ان روح القدس نفث في روعي انه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها ولا يحملنكم استبطاء الرزق على أن تطلبوه بمعصية الله فانه لا ينال ماعنده الا بطاعته » الحديث .

PDF Compressor Pro

كالرشوة أو السرقة أو الغش واعلم أيها المسلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما اخطأك لم يكن ليصيبك وما كان لماشفيه فليمضغاه فان اكتسبت من الطريق الحرام مالا فسوف تبذله فى المصائب والعياذ بالله · ومع مزاولة الأسباب ومباشرتها يجب عدم الاعتقاد فيها وفى أنها تؤثر وتنتج المسببات انما الفاعل هو الله وحده لا شريك له ·

(لا يغرنك تقلب الذين كفروا فى البلاد متاع قليل) (٣) أى لاتغتر بهؤلاء الذين يمتلكون المال وينفقونه على ملذاتهم فمثلهم كمثل المحكوم عليه بالاعدام فان المأمور يعطيه سيجارة ويشعلها له · فكذلك المحكوم عليه بالطرد من رحمة الله تراه يسكر ويرتكب كل المحرمات ومع ذلك فرزقه واسع وأمواله كثيرة وهذا استدراج والعياذ بالله تعالى - فيجب الا يغرك امثال هؤلاء ولكن الشخص الموفق لطاعة الله هو الذى يغبط على ذلك ولو أكلها بملح ·

(كلا ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى) لم يقل كلا ان الانسان ليطغى أن استغنى والمقصود من ذلك أن كثرة المال لا تنافى الصلاح وإلا لما أعطى الله تعالى لسليمان ملك الدنيا كلها مع أنه نبى رسول · فقد يكون الانسان موسرا غنيا كثير المال ، ولكنه تقى صالح يخشى الله تعالى فى نفسه وماله ·

انما الآية الكريمة تقول (أن رآه استغنى) يعنى أن الانسان يرى أن كل ما يمتلك من مال أو قوة أو علم يغنيه عن الله تعالى وعن الحق وهذا هو الطغيان فالشخص الذى يمتلك مالا أو يمتلك قوة بدنية أو جاها أو معرفة بأرباب السلطان أو يمتلك علما ويغتر بذلك ويستغنى به فهو كافر وسبب كفره هذا الاستغناء · وهل الذى يستغنى بالوزير عن الله جل جلاله ؟ يغنيه الوزير عن الله ؟ ولو شاء الله لأرسل عزرائيل فقبض روحه وروح الوزير ولايستطيع أحد أن ينقذه - وضرب الله مثلا لضعف الانسان فلو كان الملك يأكل عسلا وجاءت ذبابة وخطفت منه شيئا ووقفت على أنف الملك فلا يستطيع الملك ولا جنوده ولا المدافع أن يلحقوا بها ويستخلصوا

---

(٣) آية ١٩٦ سورة آل عمران ·

PDF Compressor Pro

منهـا ما سلبتـه من العسل . ولذلك يقول الحق جل وعلا (يا أيهـا الناس ضرب مثل فاستمعوا له . ان الـذين تدعـون من دون الله) ملوكا أو وزراء أو كبارا أو صـغارا (لن يخلقوا ذبابا) لا تقل ضيـارة أو غواصة بل ذبابة - سـواء كانوا فرادى أو جمـاعات (ولو اجتمعوا له) وليس هـذا فقط دليل ضعفهم بل هم أضـعف من ذلك (وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منـه) فالطالب عجز عن ادراك الذباب والذباب ضعيف . اذن (ضعف الطالب والمطلوب) (١) . وفي أثنـاء انعقاد جلسـة مجلس الوزراء فان رئيس المجلس لو ضـايقه حصر البول يقوم جريا وهـذا يدل على حطته وعلى ضعفه ومع ذلك الناس تخضع له وتقبل يده ورجله .

فاعلم أن اعتماد النـاس وتوكلهم على المـادة هو سبب طغيـانهم واستغنائهم عن ربهم بينما الحق جل جلاله اليـه رجعى جميع الخلق في الدنيـا والآخرة (ان الى ربك الرجعى) .

في هـذه الآية وعـد ووعيـد وليس كمـا قال بعض المفسرين انهـا وعيـد .. فمثلا اذا كان الشخص فقيرا ورجع الى الله مع فعل السبب فان الله يعطيـه المـال - واذا كان جاهلا وفعـل السبب ورجع الى الله بقلبـه فانه يعطيـه العلم - واذا كان مريضـا وتعاطى الدواء ورجع الى الله وسأله الشـفاء معتقـدا أن الله هو الشافي فانه يمنحه الشفاء . والدليل أنك تجد شخصين مريضـين بمرض واحد والطبيب واحد والدواء واحد وتجـد أحدهمـا يشفى الآخر يموت بمـا يدل على أن الله وحـده هو الفاعل .

فيا أيها المسلم ارجع الى الله في الدنيـا . ارجع الى شرع الله تجد شرع الله يقول (استغفروا ربكم أنه كان غفـارا . يرسل السـماء عليكم مدرارا . ويمددكم بأموال وبنين ويجعـل لـكم جنـات ويجعل لـكم أنهـارا) (٢) . فاذا أردت أن يقضي الله حاجتـك ويفـرج كربك ويشفي مرضـك اسـتغفر ربك وأكثر من الاسـتغفار مع فعل الأسـباب وليس معنى ذلك أن تجلس في المسـجد وتهمل الأسـباب وتطلب قضاء حاجتك لأن الله يقول في آية أخـرى (فاذا قضيت الصـلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله) (٣) .

---

(١) آية ٧٣ سورة الحج .
(٢) آية ١٠ ، ١١ ، ١٢ سورة نوح .
(٣) آية ١٠ سورة الجمعة .

PDF Compressor Pro

واذا كانت هنـــاك شـــدة أو ضـــيق يشمل كل البـلد فاسأل الله سبحانه وتعـــالى أن يدفع البـــلاء ويخفف الضيق فان الرجعى الى الله في كل حال ٠

وفى الآخرة الرجعى الى الله ٠ الرجوع الى الله الحكم العدل ٠ فكل من عمل عملا من خير أو شر فانه يجد جزاء عمـله أن خيرا فخير وان شرا فشر ٠

ومن هذا التفسير يظهر معنى قول الله تعـــالى (كلا ان الانســان ليطغى أن رآه استغنى ٠ ان الى ربك الرجعى) وظهر الارتبـــاط والمناسبة بين الآية وما قبلها والله تعالى أعلى وأعلم ٠

PDF Compressor Pro

الدرس السابع

بسم الله الرحمن الرحيم

« أرأيت الذى ينهى عبدا اذا صلى ، أرأيت ان كان على الهدى أو أمر بالتقوى ، أرأيت ان كذب وتولى ، ألم يعلم بأن الله يرى » ٠

سبق قول الله تعالى (كلا ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى ، ان الى ربك الرجعى) وبينا مناسبة هذه الآيات الكريمة لما قبلها ٠

قيل أن سبب نزول هذه الآية هو أن أبا جهل عدو الله قال : يزعم محمد أن من استغنى طغى فهل يجعل لنا جبال مكة فضة وذهبا فندع ديننا ونتبع دينه ، فنزل جبريل وقال لو شئت لفعلنا فان لم يؤمنوا فعلنا بهم ما فعلنا بأصحاب المائدة ولكن الرسول ﷺ كف عن الدعاء اشفاقا بهم ٠

كون كلام أبى جهل هو سبب النزول فذلك يقتضى حصول هذا الكلام قبل نزول الآية وكونه يقول يزعم محمد ان من استغنى طغى يقضى حصوله بعد نزولها ، فهل معقول هذا الكلام ؟

وما معنى قول جبريل لو شئت لفعلنا ٠ هل جبريل يستطيع ذلك ؟ كلا انما كانه يقول للنبى ﷺ ربك يقول لو شئت لفعلنا ٠

والسؤال كيف ذلك وقد سبق وان قدر الله سبحانه وتعالى جميع المقادير قبل خلق الخلق بخمسين الف عام (أو بخمسمائة الف عام) فكيف يحدث أنه لو شاء الرسول أن تكون الجبال ذهبا وفضه لكانت مع ان الأمور كلها مرتبطة بمشيئة الله وحده لا بمشيئة الرسول ٠

والجواب سبق فى علم الله أن من اصطفاهم الله من عباده لا تتعلق قلوبهم الا بما شاءه الله سبحانه وتعالى فترى الواحد منهم لو سئل أن يدعو الله لأحد فانه ينظر فى مرآة قلبه فيجد فيه أنوار اللوح المحفوظ هل سبق فى علم الله أن الرجل المحتاج للدعوة يرتبط الدعاء له وهو سبب من الأسباب بحصول المسبب وهو قضاء حاجته أم لا ؟ فهو يعلم أنه لا يفعل شيئا غير السبب وهو الدعاء فلو شاء الله حصول المسبب بسبب هذا

PDF Compressor Pro

الدعاء فيها والا فلا · فبعض العارفين والصديقين ومن باب أولى النبيين نراه ينظر فى مرآة قلبه التى ينطبع فيها ما فى اللوح المحفوظ فان وجد فيه أن الله تعالى قد رتب الاجابة وقضاء الحاجة الى دعائه للمحتاج دعا له والا فانه يدعو له دعوة أخرى بغير ما يطلبه المحتاج ·

فالفعل كله لله وحده وصدق الله اذ يقول (من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه) (١) · فالدعاء سبب من الأسباب ـ فاذا كان القضاء مبرما فان الله تعالى يخففه بسبب الدعاء واذا كان القضاء معلقا على الدعاء فان الدعاء يرفعه باذن الله على أنه المقصود من الدعاء هو العبادة (الدعاء مخ العبادة) (٢) أى المقصود منه هو التذلل لله سبحانه وتعالى واظهار الخضوع والخشوع لله جل شأنه · فمعنى كلام جبريل عليه السلام يقول الله ان شئت فعلنا لانك لا تشاء الا ما يشاء الله تعالى فان توجهت همتك وتعلقت ارادتك بشىء كان ذلك دليلا على أن الله تعالى أراد فيحصل المراد ـ وان لم تشأ دل ذلك على أن الله تعالى لم يرد ·

« أرأيت الذى ينهى عبدا اذا صلى » ما هى المناسبة بينها وبين ماسبقها ·· لابد من مناسبة وان خفيت علنا ·

الآية السابقة (كلا ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى) ـ وقد سبق شرحها ـ ولكن مما يجب ذكره أن العلم والمال والقوة والجاه متى كان تحصيلها وصرفها فى سبيل الله · فانها لا تسبب الطغيان · وانما الطغيان يأتى بسبب ادعاء الانسان ورؤيته انه عالم أو غنى أو قوى بنفسه مستغنيا عن ربه مع احتقاره للناس واعتقاده أنه لا يوجد فيهم من هو أعلم أو أغنى أو أقوى منه وذلك قوله تعالى (أن رآه) فهو يرى نفسه مستغنيا عن ربه فضلا عن مجاوزته الحدود ومقابلته نعم الله بالجحود مع صرف النعم فى غير ما خلقت لأجله والاستعانة بنعم الله على معصية الله · فاذا كان له مال كثير يقول كما قال قارون (انما أوتيته على علم عندى) (٣) وهكذا يغتر بماله وعلمه وقوته ناسيا أن الله

---

(١) آية الكرسى رقم ٢٥٥ سورة البقرة ·
(٢) حديث شريف ·
(٣) آية ٧٨ سورة القصص ·

PDF Compressor Pro

قادر على أن يأخذه أخذ عزيز مقتدر ، وكما أن الشر فتنة فان الخير فتنة فان المال مثلا يغر صاحبه ويلهيه عن ربه ويستعين به على اذى عباد الله - وقد غفل فانه اذا مات لا ينفعه ماله ولا شيء ينفعه غير العمل الصالح ٠

(أرأيت الذى ينهى عبدا اذا صلى) ٠

نضرب مثلا بسيطا : شخص يقابل شخصا آخر فيقول له أرأيت ما قد حصل فى شارع كذا وهو يعلم انه لم ير ما حصل فهو يقصد أن يشوقه ويلفت نظره الى ان ما حصل أمر عجيب فكانه يقول له اعجب ثم اعجب لما حصل فان سأله عن الذى حصل يقول له حصل اليوم مظاهرات شديدة فى شارع كذا وحدث فيها كذا وكذا وكذا ٠

فى الآيات الكريمة تكررت الكلمة « أرأيت » ثلاث مرات فكأن الله سبحانه وتعالى يقول للرسول أو يقول للمخاطب وهو كل مكلف ٠ اعجب ثم اعجب من قصة عجيبة فكان المخاطب يقول وما هى يارب؟ فيقول القصة عجيبة وغريبة ولم تكن منتظرة وهى قصة عبد خلقه الله تعالى من علق وتكرم عليه رب الأرباب وعلمه مالم يعلم ٠ فكان هذا يقتضى منه أن يشكر ربه وأن يصرف نعمه فيما خلقت لأجله فبدلا من قيامه بالشكر قام بالعصيان وجاوز الحد وتكبر على الله واستغنى عنه وتصرف تصرف المتكبر المستغنى ولم يبال بربه الناقد البصير الرقيب العليم الذى يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ولم يبال بالتهديد بانه راجع الى ربه فملاقيه وسوف يحاسبه ولابد عن الصغيرة والكبيرة ولم يبال بأن الله مطلع عليه ان كان صادقا أو كاذبا ٠ لم يبال بذلك كله لغباوته وطمس بصيرته الناشيء عن استغنائه عن ربه ٠ بل ان ذلك جعله ينهى عبدا اذا صلى أو رأى عبدا يسير فى الطريق القويم ويفعل الخير فانه يصده عن الطريق المستقيم بسبب جهله وعداوته لله رب العالمين ٠ ومثال ذلك هؤلاء الذين يقولون ان الصلاة على النبى ﷺ بعد الأذان بدعة وأن قراءة دلائل الخيرات بدعة وهم فى نفس الوقت يرون الخمر وشرب المسكرات والزنا وفعل المحرمات جهارا ونهارا ولا يتكلمون٠ ومثال ذلك ايضا من ينهون الناس عن الصلاة بقولهم انه لم يحصل للبلد ما حصل من الانحطاط والفساد الا بسبب الذين يصلون ٠ وهذا كله والعياذ بالله هو العمى والبعد عن الله لأن الله تعالى لم يأمر رسوله

PDF Compressor Pro

والمؤمنين بقوله (استعينوا بالصبر والصلاة) (١) لكى يؤدى ذلك الى خراب البلاد بل أمرهم بذلك للوصول الى المنافع والمصالح وقضاء الحوائج والنصر على الأعداء . فاستعن أيها المؤمن بالصبر وبالصلاة ولا تقل دعونا ولم يستجب لنا لأن الله وحده هو مالك الملك لا يتحكم فى ارادته أحد .

فالقصة العجيبة هى قصة ذلك الانسان الذى خلقه الله من علق « أولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين » (٢) . فأصله نطفة وخلق منها العين التى تبصر ولكن الانسان يستعملها فى النظر الى ما حرم الله والتجسس على عباد الله فهو خصيم وبسببه طغيانه هو خصيم مبين لأنه لا يتستر على المعاصى بل يجاهر بها فتراه يجاهر بالفطر وبالنظرة المحرمة فى رمضان فكأنه يقول انا أعلم أن هذا رمضان ولكنى لا أصوم رمضان مجاهرا بالمعاصى وذلك لأنه لم يجد من يصده ويمنعه من هذا التحدى لله ولرسوله لأنه مع الأسف لا يوجد الرجال الذين يستطيعون صده لأن الرجال قد ماتوا ولو كان هناك عشرة فقط من الرجال لكان للاسلام حال غير هذا الحال .

فاعجب أيها المخاطب ثم اعجب من حال الانسان وأنت تعلم معنى كلمة الانسان فانه لم يكن شيئا مذكورا « هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا . انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا » (٣) فالله تعالى يذكره بشىء من أصله ولكنه نسى خلقه .

فهذا الانسان الذى خلقه الله والذى تكرم عليه وأنعم عليه بسبب ومن غير سبب وعلمه بالقلم وبغير القلم وعلمه مالم يكن يعلم وسخر له كل شىء حصل انه استغنى عن ربه وطغى وجاوز الحدود ومن طغيانه احتقاره للعباد وسيطرته عليهم وكلما رأى شخصا منهم يفعل خيرا فانه يمنعه اما بالتهديد أو بالقوة أو بالسفسطة لأنه من جنود ابليس وابليس لا يريد أحدا أن يصلى أو يفعل الخير .

---

(١) هذا الأمر تكرر فى آية ٤٥ ، ١٥٣ سورة البقرة .
(٢) آية ٧٧ سورة يس .
(٣) آية ١ ، ٢ سورة الانسان .

PDF Compressor Pro

« أرأيت الذى ينهى عبـدا اذا صلى · أرأيت ان كان على الهدى أو أمر بالتقوى · أرأيت ان كذب وتولى ألم يعلم بأن الله يرى » ·

ذلك الانسان بلغت به الغفلة وبلغ به عمى البصيرة انه نسى المعيـة نسى أن الله معـه وانه يراه فلو أنه أدرك ذلك ماتهى عبدا عن الصـلاة أو عن فعل الخير وعلم أن الله مطلع عليه وعلى أفعـاله ان كانت على هـدى أو على ضـلالة وانه اذا كان يأمر بالتقوى فهل هو مخلص أو مرائى يقول بلسانه بخلاف ما هو مختبىء فى جنانه ·

الانسان الذى استغنى عن ربه علامة ذلك هى جحوده وجهله أن الله تعـالى يراه ويعلم أفعـاله ان كانت على هـدى وتقوى أو على ضـلال وكـذب ·

فلو رأيت شخصا ينهى عن الخير فاعلم أنه طغى وجاوز الحد واستغنى بقلبـه عن ربه ولا يغرك شقشقة اللسان واعرابه الآية أو الحـديث فهو مستغنى بنفس العلم لأن للعلم طغيـانا كطغيان المـال ـ فالعلم كالماء يشربه القصب فيزداد حلاوة ويشربه الحنظل فيزداد مرارة · فالعلم يشربه القلب الخبيث فيزداد خبثا ويشربه القلب النقى الصافى فيزداد نقاءا وصفاءا ·

وكما يستغنى العـالم بعلمـه كذلك يستغنى صـاحب المـال بماله أو صـاحب الجـاه بجاهـه أو صـاحب القـوة بقوته · وذلك ناشىء عن طمس البصـيرة وعمى القلب والجهـل بأن الله سـبحانه وتعـالى محيط بكل الـكائنات مطلع عليهـا « ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير » (١) فالجهـل والنسـيان بسبب الطغيـان والطغيـان بسبب الاسـتغناء والعيـاذ بالله ·

ومن هنا يظهر ارتباط الآيات بعضها ببعض والله أعلم ·

---

(١) آية ١٤ سـورة الملك ·

PDF Compressor Pro

الدرس الثامن

بسم الله الرحمن الرحيم

« أرأيت الذى ينهى عبدا اذا صلى ، أرأيت ان كان على الهدى أو أمر بالتقوى ، أرأيت ان كذب وتولى ، ألم يعلم بأن الله يرى » ٠

يقول الله تعالى فى هذه الايات الكريمة ما معناه اعجب ممن هذا شأنه وهو الانسان الذى خلقه الله من نطفة فاذا هو خصيم مبين٠ خلقه من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة ثم خلق المضغة عظاما ثم كسا العظام لحما وهذه كلها نعم ، وشق له السمع والبصر ومد فيه العروق وأعطى كل عضو من الأعضاء ماينا سبه وهذه كلها نعم ، وأوصل له الغذاء فى بطن أمه ثم أخرجه الى الدنيا وأجرى له من بين فرث ودم لبنا وهذه كلها نعم ولازالت انعامات الحق جل جلاله متتالية وامداداته متوالية ومع ذلك فان هذا الانسان اذا جاءه رسول من عند الله كذب به واستغنى بنفسه عن ربه وطغى وبلغ من آثار طغيانه انه اذا رأى أحدا يصلى أو يفعل الخير نهاه عن فعله فكأنه بذلك يعادى ربه لأنه لا يريد أحدا ان يصلى لله ٠ وهذا من مقررات وآثار الطغيان « كلا ان الانسان ليطغى » ٠

حصل من أبى جهل عدو الله أنه رأى النبى ﷺ يصلى فقال للناس محمد يعفر وجهه ويصلى ٠ وبين أظهرنا وحلف لو راه يصلى ليطأن عنقه مثل هذا الشخص الذى يتهجم على الله ويسىء الأدب على الله ، ويعصى ربه ويتبجح بالعصيان وسوء الأدب ٠ لا ينتظر منه أن يكون مؤدبا مع الخلق مطلقا ٠ فلا هو مؤدب مع الله ولا هو مؤدب مع الخلق فهو لا يحسب على الانسانية ولا يعتبر من بنى آدم ٠

ومثل هذا الشخص فى هذا الزمان كثيرون يحلفون بالباطل وهم مثل ابى جهل بل ان أبا جهل حلف بمعبوده ولكنهم يحلفون بالله سبعين الف يمين كاذبة يستهينون بالحلف بالله ، والواحد منهم يفضل امرأته على رب العزة لأنك لو قلت له احلف بالطلاق لا يحلف ويمتنع ويحلف بالله كاذبا فكأنه قدم امرأته على رب العزة ٠

PDF Compressor Pro

جاء أبو جهل ورسول الله ﷺ يصلى وأقبل ناحيته ولكنه ارتد عنه بظهره وهو يدفع بيديه كمن يتقى بيديه شيئا · فقيل له مالك فقال انى رأيت بينى وبينه خندقا من نار وهولا واجنحة · فلما حكى ذلك للنبى ﷺ قال لو دنا لاختطفته الملائكة عضوا عضوا أى مزقته شر ممزق · فنزلت الآية « أرأيت الذى ينهى عبدا اذا صلى » ·

وقد وصف الحق جل جلاله نبيه بأنه عبد فهو ﷺ عبد كغيره من العباد · والتنوين فى قوله تعالى (عبدا) للتعظيم · وهو سيد خلق الله وأفضل عباد الله ·

وان لله تعالى عبادا اختصهم بالفضل واستثناهم من غواء ابليس « ان عبادى ليس لك عليهم سلطان » (١) بل ان ابليس مع كفره نادى مع الله تعالى فى قوله « فبعزتك لأغوينهم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين » (٢) ·

وبالنسبة للنبى ﷺ فهو عبد وفى غاية التعظيم ونهايته كما عبر عنه فى مقام الاسراء بقوله جل وعلا « سبحان الذى أسرى بعبده ليلا » (٣) وفى مقام التنزيل بقوله جل وعلا « الحمد لله الذى انزل على عبده الكتاب » (٤) ومقام العبودية هو أشرف مقام وأجل مكانة ولو كان هناك لفظ أعظم منه لعبر به ·

وعبد الله حقا هو من بلغ الغاية فى العبودية حتى أن اشتغاله بأمور الحق لا يصرفه عن حقوق الخلق واشتغاله بشئون الخلق لايشغله ولا يصرفه عن شهود الحق · وعلى حد قول القائل :

ومما زادنى شرفا وتيها ... وكدت بأخمصى أطأ الثريا

دخولى تحت قولك يا عبادى ... وان صيرت احمد لى نبيا

وأقرب مثل لذلك انك ترى الانسان الجاهل يشعر بالشرف والفخر اذا ناداه شيخ الحارة أو العمدة أو المأمور فكيف والحال ان رب العزة

---

(١) آية ٤٢ سورة الحجر وآية ٦٥ سورة الاسراء ·
(٢) آية ٨٢ ، ٨٣ سورة ص ·
(٣) آية ١ سورة الاسراء ·
(٤) آية ١ سورة الكهف ·

PDF Compressor Pro

ينـــادى (يا عبـادى) فهـذا هو أكبر شرف لمن يدخل في زمرة عبـاد الله الصـالحين ٠

نعود للآيات الـكريمة « أرأيت الذى ينهى عبـدا اذا صلى ٠٠ الخ » العـبرة بعمـوم اللفظ لا بخصـوص السبب والمعنى والله أعلم اعجب ثم اعجب لانسـان أوجـده الله من عـدم خلقـه من ماء حار ثم علقـة تعافها النفوس ثم يعـادى ربه ويحـاربه ليـلا ونهـارا لأنه رأى لنفسـه قـوة وجاها وسلطانا ومالا فاستغنى بذلك ـ عن الله وأبيـه بل عن رب العزة ـ وطغى وصـــار يقول فى نفســه « انا ربكم الأعلى » ويتكبر ويتفخ على غيره ٠ والأمثـــلة على ذلك كثيرة بل أنت ترى من يـدعى وهـو ضـعيف غلبـان وينتفخ على امراته ويشتمها ويسبها وتراه خارج البيت نعـــامة على عكس ما قاله سـيدنا عمر ابن الخطاب رضى الله عنه (انا كنت فى بيتى كنت طفـلا وان كنت مع القوم كنت رجلا) وليس من العيب او العار أن تـكون فى بيتـك صـغيرا تحمل الطفل وتـكون لين الجانب ولـكن اذا كنت مع الرجال فكن رجلا ٠

أعجب لذلك الانســان الـذى طغى وبلغ من طغيـــانه أنه ينهى غيره لا عن الزنا أو عن شرب الخمر أو عن ارتكاب الفحشاء بل ينهـاه عن الصلاة وبلغ من طغيـــانه انه نسى ربه ونسى المعيـــة ونسى أن الله معـه ويراه ٠ فهو يأمر بالشر ويفعـله واذا فعل خيرا فانه يفعله بجسمه فقط ليقال انه يفعل الخير وان نصح نصيحة فبلسانه فقط وقلبـــه مشغول بالخلق مملوء بالرياء والنفاق ٠

« أرأيت ان كان على الهـــدى أو أمر بالتقـوى ، أرأيت ان كـذب وتولى ٠ ألم يعلم بأن الله يرى » لولا أنه راى نفسـه واسـتغنى بقـوته وماله وعلمـه ما طغى لأن الطغيـــان مترتب على الاســـتغناء ٠ وبسبب طغيـــانه يفعل الشر وينهى عن الخير وان ادعى فعـــل الخـير أو الأمر بالتقوى فـذلك بظـاهره فقط ٠ هـذا الانسان ألم يعلم بأن الله يراه فى جميع أحواله ؟ فهو يراه ويعـلم حقيقتـــه ٠ اذا ادعى وهو كاذب أنه على الهـدى ٠ ويعلم حقيقتـــه اذا ادعى أنه يأمر بالتقوى وهو منافق ٠ ويعلم حقيقته ويعلم سره وباطنه ٠

« كلا لئن لم ينته لنسفعا بالنـاصية » كرر الله الزجر بكلمة كلا مرة ثانيـة ٠ فى المرة الأولى عدد الله النعم التى أنعم بهـا على الانسان من

PDF Compressor Pro

خلقه وخلق كل شيء وانه تعالى الأكرم الذى أنعم عليه بالتعليم بسبب ومن غير سبب وان الانسان لم يشكر نعم ربه وأشرك به واعتمد على الأسباب فقال الله كلا أى زجرا لهذا الانسان .

ثم أعاد الزجر مرة أخرى بقوله كلا . وهذا الزجر يوضح أن الانسان الغافل يشبه الشخص الذى نومه ثقيل . فالذى نومه خفيف يكفيه الكلمة أو النداء اما من نومه ثقيل فلا يوقظه من نومه الا الزغد أو الضرب بالرجل أو القاء الماء على وجهه .

لذلك فان الله سبحانه وتعالى ينبه الناس كل يوم وينضح وجوههم بالماء بما يروته من الشدة والضيق والضغط عليهم لكى يتنبهوا ويعودوا الى الله « ما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم » (١) فالمصائب التى يلقاها الناس هى بسبب المعاصى ولذلك يجب استعمال الدواء وهو الاستغفار والتوبة من المعاصى « استغفروا ربكم انه كان غفارا » (٢) . فالذى يلهمه الله الصواب يستيقظ من نومه وينتبه من غفلته فيتوب ويرجع الى الله انما من غضب الله عليه فانه لا ينتبه واذا انتبه قليلا عاد الى نومه الثقيل وغفلته مرة ثانية .

لذلك كرر الله تعالى الزجر مرة ثانية بقوله كلا اى زجرا وردعا لمن لم ينتبهوا ثم أقسم الله تعالى بلام القسم « لئن لم ينته لنسفعا بالناصية » .

الظاهر والله أعلم أن المقصود بالانتهاء هنا فى قوله تعالى « لئن لم ينته » هو المقصود فى قوله تعالى فى آية أخرى « قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف » .

« لئن لم ينته لنسفعا » المفهوم لو انتهى عقا الله عنه وهذا المفهوم صريح فى الآية الكريمة « ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف » .

لكن يؤخذ من كلام بعض المفسرين (لئن لم ينته » يعنى أبو جهل « لنسفعا » أى لنسحبنه بشدة الى جهنم « بالناصية » أى برأسه .

---

(١) آية ٣٠ سورة الشورى .
(٢) آية ١٠ سورة نوح .

PDF Compressor Pro

قالوا في سبب النزول أن الله تعالى توعد أبا جهل بذلك . وقد حصل في غزوة بدر أن حقق الله تعالى ماتوعد به أبا جهل في القرآن . لأنه في معركة بدر لما قتل ابو جهل رآه سيدنا عبد الله ابن مسعود ملقى على الأرض وكان ضخم الجثة . وكانت فيه بقية من الروح فاعتلى عبد الله بن مسعود صدره ليجز عنقه بالسيف فقال اللعين ابو جهل لابن مسعود متماديا في كفره (لقد رقيت مرقى عاليا يا رويعي الغنم) (١) يعني أنت يا ضعيف تركب على صدر أبي الحكم زعيم الحرب فكان جواب ابن مسعود (الاسلام يعلو ولا يعلى عليه) فقال له أبو جهل مع كفره « سيفي امضى فحز به عنقي » وهذا معناه انه فضل ان يقتل بسيفه لا بسيف عبد الله بن مسعود حتى لا يقول الكفار ان عبد الله بن مسعود الضعيف قد قتل أبا جهل بسيفه. وقد حز عنقه عبد الله وربط راسه بحبل وجره الى رسول الله ﷺ فلما رآه تبسم ﷺ وكانت ابتسامته لأنه رأى جبريل عليه السلام ماشيا بين يدى ابن مسعود ولأنه رأى أضعف رجل من المسلمين ـ وكان ابن مسعود صغير الجسم ـ يجر رقبة اقوى رجل من الكفار وهو ابو جهل انتصارا لدين الله .

ولذلك يقول بعض المفسرين هذا هو معنى قول الله تعالى « لنسفعا بالناصية) ولكن الغالب والله أعلم أن المراد في الآخرة لقوله تعالى « سندع الزبانية » والزبانية في الآخرة . والله سبحانه وتعالى أعلى وأعلم .

---

(١) صحة العبارة ولعل مافيها من سرعة النقل والله أعلم :

(لقد ارتقيت مرتقى صعبا يا رويعي الغنم) .

PDF Compressor Pro

الدرس التاسع

بسم الله الرحمن الرحيم

« أرايت الذى ينهى عبدا اذا صلى ، أرايت ان كان على الهدى أو أمر بالتقوى ، أرايت ان كذب وتولى ، ألم يعلم بان الله يرى ، كلا لئن لم ينته لنسفعا بالناصية ، ناصية كاذبة خاطئة ، فليدع ناديه ، سندع الزبانية ، كلا لا تطعه واسجد واقترب » .

العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، الحديث هنا عن الانسان . الانسان الذى ذكره الله تعالى فى أول السورة بقوله خلق الانسان من علق . هذا الانسان الذى خلقه الله من علق وربأه وأنعم عليه بنعمه الجزيلة وعلمه عالم يكن يعلم . هذا الانسان هو الذى استغنى عن ربه . غرته المادة ووقف مع الظواهر وأعمته الغفلة عن عن شهود ربه الفاعل الحقيقى لكل شىء فاعتقد أن الملك أو الوزير هو الذى يقضى له مصلحته وبدونه لا تقضى المصلحة وادعى ان فلان هو الذى خلق فلانا وأن الطبيعة هى التى خلقت كذا وكذا وأوجدت كذا وكذا . واغتر بهذه الظواهر ووقف عندها فذو المال استغنى بماله وذو الجاه استغنى بجاهه وذو العلم استغنى بعلمه وذو القوة بقوته وتمرد على الله وسعى فى الأرض فسادا وطغى على عباد الله .

بل وأكثر من ذلك أن بعض من يدعى الصلاح يستغنى بصلاته ويرى نفسه أفضل من الناس حتى اذا سمع أحدا يدعو الله فانه لا يؤمن على دعائه لأنه (شبعان) من الدعاء واذا قرىء القرآن فانه لا يستمع له بدعوى أنه حافظ للقرآن ومجوده وهكذا .

ومنهم من يحفظ بعض الفوائد المكتوبة فى الكتب أو بعض الرسومات والأشكال ويدعى أنها تنفع الناس ويدعى الولاية فهذا يستعين بالشيطان والعياذ بالله . والذى يتبع الشيطان انما هو من الغاوين أما عباد الله الصالحون فليس للشيطان عليهم سبيل « ان عبادى ليس لك عليهم سلطان » (١) .

---

(١) آية ٦٥ سورة الاسراء ، ٤٢ سورة الحجر .

PDF Compressor Pro

« كلا ان الانسان ليطغى · أن رآه استغنى · ان الى ربك الرجعى · أرأيت الذى ينهى عبدا اذا صلى » ·

اعجب لهذا الانسان الذى سمعت وصفه اعجب له وهو ينهى عن الصلاة · اعجب لطمس بصيرته وعمى قلبه وكثرة ما علا قلبه من الران الذى غطى على عين القلب وحمله على الطغيان وأنساه أن الله رقيب عليه ويعلم كل شىء « يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور » (١) وجهل أن الله يراه فى جميع الأحوال يراه وهو ينهى عن الصلاة ، يراه ان كان على هدى أو ضلال · يراه اذا كذب وأعرض عن الدين وعن الداعى الى الدين ·

فيكون ترتيب معنى الآيات والله أعلم هو :

أرأيت الذى ينهى عبدا اذا صلى	ألم يعلم بأن الله يراه
أرأيت ان كان على الهدى	ألم يعلم بأن الله يراه
أرأيت ان كذب وتولى	ألم يعلم بأن الله يراه

كرر الله تعالى الزجر والردع · لأنه قد وضح البيان فالآيات واضحة والدلائل لائحة ففى السماء آيات وفى الأرض آيات أعرض عنها الانسان وطغى وأمثلة ذلك كثيرة ·

ترى الشخص جالسا فى مجلس معتزا بجاهه وقوته ثم يقع على الأرض مغمى عليه ويرشون على وجهه الماء فاذا أفاق من اغمائه يعود لما كان عليه من الغرور والطغيان ولا يتعظ بما حدث له ·

وترى غيره منقوحا لأنه عضو فى مجلس الوزراء ويجلس فى مجلسه يكاد ان يطق من النفخة ثم تراه ينام ويطرق برأسه ويسيل لعابه على ذقنه ، ومع ذلك يظل على ماهو عليه ·

وترى غيره جالسا يتصرف فى أمور الناس مغترا بسلطته يأمر وينهى ويهيء له الشيطان أنه يستطيع أن يرفع من يشاء ويخفض من يشاء ثم يفاجئه حصر البول فيقوم يجرى · وهذا ليذكره الله بمنشأ خلقه وانه جرى فى مجرى البول مرتين ولكنه لا يتذكر ولا يعقل · أليس هذا

---

(١) آية ١٩ سورة غافر ·

PDF Compressor Pro

كله من الطغيـــان ؟ الا يستحق الزجر ؟ لذلك كرر الحق جل جلاله (كلا) زجرا وردعا لهذا وأمثاله ٠

روى أن عـدو الله أبا جهل رأى سيدنا رسول الله ﷺ يصلى فقـال له بعنف وغلظـة كمـا هو شأنهم (ألم أنهك) أى عن الصـلاة ٠ ولـكن الرسـول صلوات الله وسـلامه عليه بعـد أن فرغ من صـلاته رد عليـه وأغلظ له فى القول وكلمـه بشـدة ٠ وهذا لا يتنـافى مع قول الله تعـالى له « ولو كنت فظـا غليظ القلب لانفضوا من حولك » (١) وذلك لأن معناها والله أعلم ليس من طبعـك الفظاظـة وغلظة القلب ولـكن طبعك هو الحلم والـكرم واللين ولـكن لو انتهكت حرمات الله واستباحهـا أحـد وتجـرأ على الله فان الشـدة عليـه تـكون واجبـة فان هنـاك أوقاتا تنبغى فيها الشدة وأوقاتا ينبغى فيهـا اللين وعلى حـد قول القـائل لا تكن ليننـا فتعصر ولا يابسا فتكسر ٠ فاذا وجـدت شـخصا يتجرأ على الله ويدعى الألوهيـة أو يعتدى على حرماته فأوقفه عند حده ٠

فلمـا أغلظ رسـول الله ﷺ القول على أبى جهـل قال له اللعين : (أتهددنى وأنا أكثر النـاس ناديا) وفى رواية (لو شـئت لملأت عليـك الوادى خيلا جردا ورجالا مردا) أى خيلا متينـة ورجالا فى قوة الشـاب المرد ٠ فنزلت الآية الـكريمة « فليـدع ناديه سندع الزبانيـة » فهو يهدد رسول الله ﷺ بأن يدعو ناديه لـكى يأخـذوا الرسـول ومن اتبعـه ٠ فى بعض الأحيـان كان الرسول ﷺ يرد عليهم ٠ وفى بعض الأحيـــان كان الحق جل جلاله يتولى الرد عنه ٠

مثلا لمـا اغتر الـكفار بجمعهم وكثرتهم وزيادة عددهم وعددهم على النبى ﷺ وعـدد أتبـاعه وعددهم أنزل الله تعـالى قوله « أم يقولون نحن جميع منتصر » ٠ قال « سيهزم الجمع ويولون الدبر » ومع أن فى هذه الهزيمة عـذاب لهم بسقوط من سـقط منهم فى الميـدان وتشريد البـاقى فان الله توعدهم بأن عـذاب الآخـرة أشـد « بل السـاعة موعـدهم والساعـة أدهى وأمر » (٢) ٠

---

(١) آية ١٥٩ سـورة آل عمران ٠
(٢) آية ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ سـورة القمر ٠

PDF Compressor Pro

وكذلك فى الموطن الذى معنا تولى الله الرد عن رسوله ﷺ فقال « كلا لئن لم ينته لنسفعن بالناصية » وسبق أن قلنا ان صريح هذه الآية مفهوم آية أخرى وهى « قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف » (١) كما أن مفهوم هذه الآية صريح تلك ٠

كأن الله تعالى يقول وعزتى وجلالى ان لم ينته المعادى الطاغى الذى تجاوز الحد ، والناهى لعباد الله عن فعل الخير والمصر على ارتكاب المعاصى من شرب الخمر أو الزنا أو القمار لنسفعا بالناصية وان انتهى عن ذلك غفر الله له ٠

« لنسفعا بالناصية » لنأخذن بالناصية ٠ لئن لم ينته ويؤمن ويتبع الرسول ويعمل على طاعة الله لأسلطن عليه الملائكة فتأخذ رأسه وتخفضها فقد وكل الله لهذه العملية ملكا يرفع رأس من يخفض رأسه تواضعا لله ويخفض رأس من يرفع رأسه تكبرا على الله وعلى عباده أو من يومىء برأسه استهزاءا أو اشارة الى عمل يغضب الله كمن يومىء برأسه فى معاكسة السيدات فى الطرقات ٠ وكذلك من لايستجيب لنداء المؤذن اذا دعاه الى الصلاة وتثاقل رأسه بالنوم عن الصلاة ٠

« لنسفعا بالناصية ـ ناصية كاذبة خاطئة » بلغت الغاية فى الكذب وخاطئة أى تتعمد الخطأ ومتعمد الخطأ هيهات أن يتوب وهناك فرق بين الخاطىء والمخطىء لأن المخطىء هو الذى لا يتعمد الوقوع فى الخطأ فلو أن واعظا وعظه فانه يتعظ ولو أرجعه أحد الى الصواب فانه يرجع ولو علمه أحد فانه يتعلم ولو نصحه ناصح ينتصح ، وخصوصا لو كانت النصيحة فى السر ، أما الخاطىء فانه الذى يتعمد الخطأ وهو يعرف أنه خطأ ويرتكبه ويفعله متعمدا متبجحا واذا نصحته بالتوبة فانه لا ينتصح والعياذ بالله ٠

فهذا عدو الله ابو جهل يتعمد الاساءة ويفخر بقومه وعشيرته وناديه ويهدد بأن يدعو ناديه وأهله وعشيرته لكى يصبوا جام غضبهم على رسول الله ﷺ ومن آمنوا معه ولكنهم لن يضروهم شيئا ولن يلحقوا بهم أذى ٠

---

(١) آية ٣٨ سورة الأنفال ٠

PDF Compressor Pro

فان استعان أبو جهل بشياطين الانس فى الدنيا فان الله تعالى يوم القيامة سيدعو الزبانية أى ملائكة جهنم لكى يقبضوا على نواصيهم ويقذفون بها فى جهنم والعياذ بالله ٠

« كلا لا تطعه واسجد واقترب » ٠

ايها المؤمن لا تطعه ٠ لا تطع من يريد أن يصرفك عن عبادة ربك ، لا تطع من ينهاك عن فعل الخير وخصوصا أداء الصلاة فى مواعيدها ٠ لا تطعه واستمر على ما أنت عليه من الصلاة ٠ المراد بالسجود هنا والله أعلم الصلاة وذلك عند الائمة الثلاثة مالك وأبى حنيفة واحمد ابن حنبل أما الامام الشافعى رضى الله عنه فانه يرى أن السجود هنا هو سجود التلاوة مستدلا بحديث أبى هريرة رضى الله عنه ، وان كان المناسب هنا لسياق الكلام هو الصلاة مع وجاهة رأى الامام الشافعى ومفهومه دم أيها المؤمن على ما أنت عليه ولا تطع من يأمرك بالمنكر أو ينهاك عن فعل الخير وهذا يتضمن معنى الصبر الوارد فى الآية الكريمة « واستعينوا بالصبر والصلاة » (١) ٠ أيها المؤمن اصبر واستعن بالصبر والصلاة على قضاء جميع مصالحك الدنيوية والأخروية ٠ حتى اذا كان لك عدو ٠ فان الله ينتصر عليه بالصبر ٠ وتفويض الأمر فيه لله تعالى وهذا أصعب شىء على الظالم والعياذ بالله ٠

والصبر على المظالم وتفويض الأمر لله تعالى أفضل من الدعاء أو قراءة العدية لأن هذه القراءة قد تجعل القارىء يعتقد أن لها تأثيرا فى النصر على الظالم فيقع فى الشرك والعياذ بالله ٠

ومعنى آخر فى قوله تعالى « واسجد واقترب » هو أنه بعد أن وجه الله اللوم والزجر للطاغى فانه يقول لمؤمن دم على ما أنت عليه من الصلاح واسجد لربك شكرا على ما أولاك من نعمه وادخلك فى كنفه يحفظك ممن عاداك ٠

وفى حال السجود لله تعالى انتهزها فرصة وتقرب الى الله تعالى بالدعاء والالتجاء الى الله ٠ وقد ورد فى الحديث (أقرب مايكون العبد من ربه وهو ساجد) ٠ ويعنى ذلك أن الله سبحانه وتعالى ليس له مكان

---

(١) آية ٤٥ سورة البقرة ٠

PDF Compressor Pro

لأنه لو كان فى السماء لكان الذى يقف على جبل أو فوق منذنة أقرب الى جهة السماء فهو أقرب الى الله - لكن الله جل شأنه منزه عن البعد والقرب المكانى ، منزه عن الزمان والمكان ، فيكون التقرب الى الله تعالى بالخضوع والذل بين يديه وبامتثال أمره واجتناب نهيه وبالسجود له لأن الساجد يضع أشرف أعضائه وهو الوجه على الأرض فى تذلل وخضوع وخشوع وبهذا يتنبه الى منشئه والى مبدئه ومنتهاه وكان الحق يقول له ايها الشامخ بأنفك أتدرى على من شمخت ؟ على من خلقك من هذه الأرض التى يطؤها البر والفاجر وسوف تعود اليها بعد موتك وسوف تبعث منها يوم القيامة « منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى » (١) فاذا لاحظ المؤمن هذه المعانى فى سجوده فانه تصفو سريرته ويمتلىء قلبه بالنور وهذا هو المعبر عنه بالقرب « واسجد واقترب » فاذا دعا ربه استجيب له وكان من الذين يتفضل الله عليهم باجابة دعائهم .

وهذا هو حاصل الحديث (أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد) وكما يفهم كذلك من حديث آخر وهو (أما الركوع فعظموا فيه الرب وأما السجود فاجتهدوا فيه بما شئتم فانه قمن أن يستجاب لكم) والله أعلم .

---

(١) آية ٥٥ سورة طه .

PDF Compressor Pro

الدرس العـــاشر

بسـم الله الرحمن الرحيم

« لم يكن الذين كفروا من اهل الـكتاب والمشركين منفكين حتى تاتيهم البينـة · رسول من الله يتلو صـحفا مطهرة · فيهـا كتب قيمـة · وما تفرق الذين اوتوا الـكتاب الا من بعد ماجاءتهم البينـة · وما امروا الا ليعبـدوا الله مخلصـين له الدين حنفـاء ويقيموا الصـلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمـة » ·

(سـورة البينـة)

أنزل الله التوراة على سيدنا موسى عليه السلام وفى التوراة بيـان شاف لأوصاف سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ونعتـه ومبعثه وكل ما يتعلق به . ثم أنزل الله تعـالى الانجيل على سيدنا عيسى عليه السلام وفى الانجيل بيـان شاف كذلك لبعثـه ﷺ « ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد » (١) وكان أهل الـكتاب يعتقـدون اعتقـادا جازما لا شـك فيـه فى مبعثـه ﷺ كمـا قال القرآن الـكريم « يعـرفونه كمـا يعـرفون أبنـاءهم » (٢) بل انهم كانوا قبل بعثتـه ﷺ اذا وقع بينهم وبين المشركين والـكفار مقـال كانوا يستفتحون به أى يطلبون به الفتح والنصر من الله على أعـدائهم فـكانوا يقولون اللهم بحق نبى آخر الزمان انصرنا فينصرهم الحق سبحانه وتعـالى « وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلمـا جاءهم ما عرفوا » محمـد الذى يعرفونه فى التوراة والانجيل « كفروا به » جعلهم الحسد والحقـد والخوف على الدنيـا يكفرون به « فلعنـة الله على الـكافرين » (٣) هؤلاء هم أهل الـكتاب من اليهود والنصـارى · أما المشركون عبـاد الأصـنام فقـد عرفوا أوصـاف النبى ﷺ من أهل الـكتاب فانهم كانوا يسألون الرهبـان عن صفة نبى آخر الزمان فـكان منهم من يبينهـا وأغلبهم يغيرون من صـفاته ﷺ التى وردت ويعكسونها خوفا على أنفسهم من ضـياع مراكزهم فى الرئاسـة وخوفا على الأموال التى تأتيهم فى كل عام · ولذلك فانهم فضـلوا النـار وفضـلوا عـذاب الله المخلد على

---

(١) آية ٦ سورة الصف ·
(٢) آية ١٤٦ سورة البقرة ·
(٣) آية ٨٩ سورة البقرة ·

PDF Compressor Pro

القليل من الأموال التى تأتيهم . وهذا شأن كثير من الناس فى هذا الزمان الذين يبيعون دينهم بدنياهم ويؤثرون عذاب الله على مال زائل .

ولذلك جمع الله سبحانه وتعالى فى هذه الآية الكريمة بين الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين « لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين » . فان أهل الكتاب كانوا يقولون (لقد أظل زمان نبى آخر الزمان وسنقاتلكم معه فنقتلكم قتل عاد وارم » أى أنهم اذا جاء نبى آخر الزمان فسيحاربون معه ويقتلون من يكفر به .

وكان المشركون من العرب عبدة الأصنام يعرفون ذلك ويفتخرون بأن نبى آخر الزمان من ولد اسماعيل .

« لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة » ومعنى ذلك أنهم كانوا يؤمنون بالغيب وبان هناك نبيا يبعث آخر الزمان ويعلمون صفة هذا النبى ولكنهم يريدون أن يطبقوا هذه الصفات على الشخص نفسه فى عالم الوجود فكأنهم يقولون ان أدركناه طبقنا مافى التوراة والانجيل عيه فان وجدناه هو آمنا به واتبعناه وان لم يكن هو ظللنا مؤمنين بالغيب حتى يأتى بالبينة .

وما هى البينة ؟ قال « رسول من الله يتلو صحفا مطهرة » فلما جاءهم الرسول حرفوا ما جاء فى التوراة وقد قال الله تعالى فيهم « يحرفون الكلم عن مواضعه » (١) أى يغيرون صفات الرسول الواردة فى التوراة .

واذا كان هذا قد حصل من هؤلاء القوم فانه ليس مستغربا فنحن نرى فى هذه الأيام كثيرا من الناس يغيرون كلام الله ويبدلونه من أجل عرض زائل من أعراض الدنيا وبعضهم يغير دينه من أجل الحصول على مركز تافه فكان الكفار من أهل الكتاب يغيرون من صفات الرسول ﷺ .

حكا الله سبحانه وتعالى عنهم ما كانوا يقولونه قبل بعثته أنهم لا ينفكون عن الايمان به حتى تظهر بشريته فيطبقوا عليه ما ورد لديهم

---

(١) آية ٤٦ سورة النساء وتكرر نفس الآية فى آية ١٣ سورة المائدة ، وآية ٤١ سورة المائدة بزيادة (من بعد) .

PDF Compressor Pro

من صفاته الشريفة ثم يؤيدونه بالايمان به ونصرته . ولكنهم لما جاءتهم البينة كفروا وغيروا التوراة . « لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة » من تبعيضيه وهو الأظهر أى أن بعض أهل الكتاب كانوا مؤمنين أى منهم من آمن واهتدى بعد أن طبق الصفات التى رآها فى التوراة على سيد الخلق ﷺ ومثال لذلك اليهودى الذى اشترى منه النبى ﷺ تمرا لأجل فجاءه قبل حلول الأجل وهو ماش ﷺ مع بعض أصحابه وجذبه من ردائه من الخلف جذبة شديدة حتى أثرت فى عنقه الشريف وقال أعطنى حقى انكم يا بنى عبد المطلب قوم مطل أى مماطلون فى السداد . وطبعا هذه الطريقة فيها قلة أدب من كل وجه لأنه أولا لا حق له (١) ثانيا واذا كان له حق فطريقة المطالبة هى الكلام باللسان وليست هذه الطريقة . فسيدنا عمر رضى الله عنه نهر الرجل وقال للنبى ﷺ دعنى يا رسول الله أضرب عنق هذا الرجل فقال له النبى ﷺ كنا أحوج الى غير هذا منك يا عمر أن تأمره بحسن الاقتضاء وأن تأمرنى بحسن الأداء ثم قال اذهب يا عمر اقضه حقه وزده جزاء ماروعته أى نظير ما خوفته بهمك بقتله ، فقال الرجل لعمر رضى الله عنه لعلك وجدت عيبا قال نعم فقال الرجل لا ولكن هذا لسبب انى وجدت نعت الرسول فى التوراة وقد جئت مسافرا حتى أتحقق من العلامات فتحققت من جميع العلامات الا خاتم النبوة ففعلت هذا لأرى خاتم النبوة وقد رأيته فأشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله .

فيقول الله تعالى حكاية لما وقع منهم قبل بعثة النبى ﷺ « لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين » الواو للمعية يعنى مع المشركين — لم يكن بعضهم منفكين عما هم عليه من الايمان فان كلام الله المنزل فى التوراة حق وأنه وصف لنبى آخر الزمان بأوصاف هى كذا وكذا وأنه من عند الله مع ايمانهم بنعوته وأوصافه وأنه سيبعث فى آخر الزمان نبى له هذه الأوصاف وهذه النعوت وأنهم باقون على هذا الايمان حتى تأتيهم البينة — وما هى البينة ؟ — رسول عظيم تنطبق عليه الصفات المذكورة من الله ، فهو رسول عظيم الشمائل جميل الخلق والخلق حسن الصورة راجح العقل يلقب بالصادق الأمين قبل بعثه

---

(١) لأن موعد السداد لم يحن .

PDF Compressor Pro

ولا تؤخذ عليه هنة من الهنات - ومع عظم ذاته فهو مؤيد من قبل الله سبحانه وتعالى الذى أيده بالمعجزات التى تعبر عن معنى قول الله صدق عبدى فيما يبلغ عنى .

« رسول من الله » مؤيد من الله « يتلو صحفا مطهرة » جاء فى التوراة أنه أمى فالمعجزة أن هذا الرسول الأمى يتلو عليهم صحفا مطهرة ويأتى بكتاب معجز للبشر . يتلو صحفا مطهرة من الباطل مطهرة من الاختلاف والتناقض وهذه شهادة بأن هذه الصحف من عند الله وأن هذا الكتاب الكتاب المعجز من عند الله لأنه « ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا » (١) لأن التوراة والانجيل الموجودين فى أيديهم فيهما اختلاف وفيهما تناقض وهذا يدل على أنه قد طرأ عليهما التبديل والتغيير من عند اليهود والنصارى .

وأما الصحف المطهرة المنزلة على الرسول فهى مطهرة أيضا من الرجس وهو الباطل « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه » (٢) ومطهرة أيضا من أن يمسها غير طاهر « لا يمسه الا المطهرون » (٣) .

ما الذى فى هذه الصحف ؟ قال « فيها كتب قيمة » أى فيها أحكام مكتوبة قيمة أى مستقيمة على الحق لا اختلاف فيها ولا تناقض .

والخلاصة أنهم قبل بعثة النبى ﷺ قالوا أنهم لا يزالون متفكين على الايمان بذلك حتى تأتيهم البينة المذكورة فيتركوا ما كانوا عليه ويتبعوا النبى المذكور وحالتهم هذه قبل البعثة كانت أحسن من حالتهم بعد البعثة لأنهم كانوا يستفتحون بالنبى ويدعون الله به فيستجاب لهم .

فالنبى ﷺ كانت له منزلة كبيرة عند الله قبل بعثته حتى أن أهل الكتاب حينما كانوا يتوسلون به فيستجاب لهم فهل اذا توسل المؤمن بالنبى ﷺ بعد بعثته يتهم بالكفر ؟.

« وما تفرق الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة » أهل الكتاب اختلفوا ولم يكن اختلافهم عن شبهة فى النبى ﷺ لأن أوصافه كانت واضحة ومعجزاته كانت واضحة ولكنه العناد منهم والاصرار

---

(١) آية ٨٢ سورة النساء .
(٢) آية ٤٢ سورة فصلت .
(٣) آية ٧٩ سورة الواقعة .

PDF Compressor Pro

على الغي والضلال والمصر على العناد والضلال لا ينتظر منه الرجوع الى الحق والصواب مهما جاءته من الآيات « وما تغنى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون » (١) بل نراه يستمر فى عناده ويأول آيات الله على حسب هواه .

اختلفوا وتفرقوا فهل كانوا متفقين قبل بعثة الرسول ﷺ ؟. المعنى والله أعلم أنه ما تفرق الذين اوتوا الكتاب فى هذا الأمر الذى معنا وهو بعثة الرسول ﷺ بل كانوا متفقين عليه وهذا لا ينافى أنهم كانوا مختلفين فى غير ذلك ومن أهل الكتاب هؤلاء من آمن وصدق بالرسول ﷺ مثل عبد الله بن سلام فانه كان يهوديا وكان من علماء اليهود وقد تأخر اسلامه حتى تأكد من انطباق النعوت والأوصاف الواردة فى التوراة على سيد الخلق ﷺ - وقد ورد أنه لما سمع قول الله تعالى « يعرفونه كما يعرفون أبناءهم » قال والله انى لأعرف انه رسول الله أما ولدى فانى لا أعرف ماذا تصنع النساء .

« وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء » الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين لا عذر لهم ولا ينبغى لأحد منهم أن يعتذر فى كفره بسبب شبهة وردت فى الكتب المنزلة عليهم لأن الكتب القديمة المنزلة عليهم من عند الله لم يأمروا فيها الا بعبادة الله وحده « مخلصين له الدين حنفاء » « وذلك دين القيمة » والله اعلم .

---

(١) آية ١٠١ سورة يونس .

PDF Compressor Pro

الدرس الحادى عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

« وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة » ٠

لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين قبل بعثة النبى ﷺ منفكين عن الايمان ببعثة الرسول ﷺ وكانوا عازمين على أن يتبعوه ان ظهر وكانت صفاته مطابقة لما ورد فى التوراة والانجيل ، وقد كانوا يستفتحون به على الذين كفروا اى يطلبون من الله النصر على اعدائهم بحق نبى آخر الزمان ٠

لم يكونوا منفكين عن الايمان ببعثه حتى تأتيهم البينة ٠ والبينة هى رسول عظيم جميل الخلق والخلق رسول من الله يتلو صحفا وقراطيس مع كونه أمى ٠ وهذه الصحف مطهرة لا يأتيها الباطل من الأمام أو من الخلف ومطهرة عن ان يمسها أى نجس حسى أو معنوى ٠ وكما أن هناك نجاسة حسية كذلك هناك نجاسة معنوية فمثلا الغيبة من المغتاب أشد من النجاسة الحسية لأن هذه يمكن ازالتها بالماء أما النجاسة المعنوية فانها تؤدى الى النار والعياذ بالله ٠ ومنها قول الله تعالى « ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار » (١) ٠

المشركون والكفار تعهدوا بأن يؤمنوا بالرسول بعد بعثته اذا كانت صفاته مطابقة لما عندهم فى التوراة والانجيل لكنهم لم ينفذوا وعودهم والسبب ان الحقد الكامن فى نفوسهم حولهم عن عزيمتهم ٠ ولو تأملنا لوجدنا أن فرعون لم يسبب له الهلاك الا حقده وكبرياؤه ولم يضيع ابليس الا استهتاره وكبره ومع ذلك (٢) فانك ترى كثيرا من الناس قد أعماهم الكبر فيمشى بين الناس مختالا لا يعجبه أحد ولا يملأ عينه أحد ويستهزىء بكل الناس ٠

فهؤلاء الكفار والمشركون لم ينجزوا ما وعدوا رغم أنهم رأوا حقا أن الصفات الواردة فى التوراة والانجيل هى هى المنطبقة على رسول

---

(١) آية ١١٣ سورة هود ٠
(٢) أى مع كل هذه الأمثلة من عاقبة الكبر وهلاك المتكبرين ٠

PDF Compressor Pro

الله ﷺ وعلموا أن الرسول هو رسول الله حقا ولكنهم وجدوا انفسهم لو اتبعوه يصبحون مرءوسين بعد أن كانوا رؤساء ومتعلمين بعد أن كانوا معلمين . بلغ الحقد فى قلوبهم مبلغا منعهم من اتباع محمد ﷺ ومنهم من رأى نفسه من أولاد اسحق بينما محمد ﷺ من ولد اسماعيل . ولذلك وبعد أن جاءتهم البينة تفرقوا وغيروا رأيهم وغيروا عزمهم ونقضوا ما تعهدوا به . « وما تفرق الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة » كانوا ينتظرون البينة وهى الرسول لكى يتبعوه ولكن لما جاءتهم كفروا وتفرقوا . هل وجدوا شبهة او وجدوا أن صفات الرسول غير الصفات التى لديهم ؟ الجواب لم يجدوا شبهة ولا صفات مخالفة لما لديهم وانما الحال أن القرآن الذى جاء به محمد يأمرهم أن يعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء وما أمروا فى كتبهم الا بأن يعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء « وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة » .

وهم يعلمون أن نبى آخر الزمان سيأتيهم بكتاب مصدق لما معهم يأمرهم بما أمروا به فى كتبهم من عبادة الله مخلصين له الدين حنفاء أى مائلين عن الباطل الى الحق ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك المأمور به فى كتبهم هو دين القيمة أى دين الاسلام .

فهم يعلمون ذلك ويعلمون أن الاسلام هو دين الله الناسخ لجميع الشرائع التى قبله ، وروح الشرائع هى الايمان بالله وعبادة الله وحده بالاخلاص والميل عن الباطل الى الحق وما أمر الخلق جميعا قديما وحديثا الا بذلك .

ما هو الاخلاص ؟ الشىء الذى يتصور أنه خالطته بعض الشوائب فان تخليصه من هذه الشوائب يسمى اخلاصا وخلاصة ومنشؤه قول الحق جل جلاله « من بين فرث ودم لبنا خالصا » (١) والمعنى أن الحيوان يتغذى بأنواع مختلفة من الغذاء ولا يشرب لبنا . انما اللبن جاء من الدم الذى جاء من الغذاء وأما فضلات الطعام بعد ذلك فهى الفرث والروث

---

(١) آية ٦٦ سورة النحل .

PDF Compressor Pro

الدواب . فأصل الجميع الغـــذاء وهو البرسـيم مثـلا وينتج منـه الـدم والفرث واستخلص من بينهما اللبن فاللبن خلاصة ذلك .

اذا خلص اللبن أول تخليص من بين الفرث والـدم فهو لبن خالص . وهـذا خلاص نسبى . لأن الرجل اللبـان يأخـذ هـذا اللبن ويخلطه بالماء ويكون فى نظر النـاس لبنـــا ولـكنه فى نظر المعمل الـكيماوى لبن مخلوط وهـذا خلاص نسبى . واذا نزع اللبـــان القشطة من اللبن فانه فى نظر النـاس لبنـــا ولـكنه لبن غير خالص فهو ايضـا خلاص نسبى . فـكل من هذه الأنواع الثلاثة لبن ولـكن لـكل منها نسبة فى الخلاص مختلفـــة عن الآخر .

لذلك فان الصوفية يقولون : من الرياء ما هو أخفى من دبيب النملة السوداء فى الليـلة الظلمـاء فى الصـخرة الصماء ولا يدرك ذلك غير أرباب البصـائر .

فترى الرجل يصـلى التراويح عشرين ركعة ولو صحت له منها ركعتان يكون فى ذلك فضـل كبير وعلى كل حال كثرة الغسيل بالصـــابون تؤدى الى النظافة .

تأمل معى الاخلاص فى العبادات على ثلاث مراتب :

اخلاص العوام وهو تخليص الفطرة من الشرك وفروعه بمعنى تخليص القلب من الشرك ومن شـكوك المعـاصى وأوساخهـــا فان من آمن وعمل الصالحات ومال اليهـا بقلبه فيقال انه أخلص .

واخلاص الخواص وهو تخليص الفطرة من الشرك أى تخليص القلب من الشرك والشكوك مع الالتزام بالايمـان وعمل الصالحات وترك المحرمات ولـكنه يفعل المـكروهات ويقع فيهـــا ولا يخلص نفســـه منهـــا شـان كثير من النـــاس الـذين لا يأبهـون ولا يهتمون بترك المـكروهات .

والمرتبـة الثالثة أن يفعل ما تقـدم ويترك المـكروهات ولـكنه يعطى نفسه حظها فى المبـاحات ويتركها ترتع فيهـا بدون أن يقيـدها ويمتلك زمامها ويمنعهـا من بعض المبـــاحات تحرزا من الوقوع فى الشبهات . فالمرتبـة الـكاملة أن يترك بعض المباحات خوف الوقوع فى الشـبهات ، « وما امروا الا ليعـــدوا الله مخلصـــين له الدين حنفـــاء » فاذا كان أمر الاخلاص كما قـدمنا فمـا هى حاجـة التصريح بقوله حنفـــاء . واذا فهم

PDF Compressor Pro

من معنى الاخلاص أنه الميل عن الشر الى الخير ومن معنى حنفـــاء أنه الميل عن الشر الى الخير اذن لابد أن هناك حكمه فى التصريح بقوله حنفاء.
تأمل معى : ربما يتوهم أن الاخـلاص اثنـــاء العبـــادة كاف فى براءة الذمة ممـا كلف به العبـاد ، فقد يكون الشخص مخلصا فى بعض العبادات دون البعض . ولذلك قال حنفـــاء أى مائلين عن البـــاطل الى الحق فى جميع تصرفاتهم وأفعالهموأحوالهم وملابساتهم ومعاملاتهم معأنفسهم وغيرهم وربهم دنيـــا وأخرى معتقـدين أن المولى محاسبهم على كل صـغيرة وكبيرة ان خيرا فخير وان شرا فشر .

هنـــا خطر بالبـــال خاطر عن أمر نسمع عنـه كثيرا وفى ظاهره أشكال وكلام العلمـاء فيـه لا يشفى الغليل وهو فى معنى الحـديث الشريف (كل عمل ابن آدم له الا الصوم فانه لى وأنا أجزى به) الصـوم عبـــادة من العبـادات كالصـلاة وغيرها وله شروط لصـحته كمـا للصـلاة شروط لصحتها فـكيف يتصـور عـدم اشـتراط الاخلاص فى الصوم ؟ كل عمل ابن آدم له هل المقصـود الثواب أى كل عمل ابن آدم ثوابه له وهل المستثنى وهو الصـوم لا ثواب له ؟ أو هل المعنى كل عمل ابن آدم من كسـبه الا الصـوم .. الحقيقـة أن كل الأعمال بما فيهـا الصوم من كسب الانسان. ماذا قال العلمـاء ؟ قالوا ان أعمـال الانسان كلهـا يدخلهـا الرياء الا الصـوم فانه لا يدخله الرياء فيجوز للانسـان أن يرائى فى غير الصـوم لـكن الصوم لا يدخله الرياء وأن الصائم قد يراءى فى غير الصوم .

الواقع يخـالف هـذا لأنه اذا فرض أن شخصا يصـوم لا ليقال عنه انه صـائم فهل انتفى الرياء عن هـذا الشخص ؟ يجوز أن هذا الشخص قـد داخله الرياء من باب آخر فقـد تحـدثه نفسـه أنه رجل كبير فى السن وانه له مكانة وله مركز وأنه يرى كثيرا من الأطفـــال يصـومون رمضـان ويستكثر على نفسـه أن يفطر ويظهر بمظهر غير متفق مع سـنه ومركـزه ولذلك يصـوم وصـومه هـذا ليس خالصـا لوجـه الله وانما هو صـوم مشوب بالرياء لأن يظهر غير مايبطن ، أو شخصا آخر تحدثه نفسه بالصيام حتى يسـتطيع أن يجـد على مائدة الافطـار أشكالا وألوانا من الطعـام ترضى شـهوته فهـذا صـيامه غير خالص ومشوب بالأغراض الشهوانية . أو شخصـا آخر يصـوم ولـكنه لا يصـلى فهـذا صـيامه ليس صـادرا عن ايمان واخلاص ومراقبـة لله لأنه لو راقب ربه لقام بواجب الصـلاة. فصيامه أيضا غير خالص .

PDF Compressor Pro

أو شخصا آخر يصوم لأنه يشتغل عند شخص يصوم ولا يرضى عن المفطرين في رمضان فيخاف على نفسه من الفصل من وظيفته فهذا صيامه غير خالص لوجه الله ويشوبه الرياء كما قال بعض العلماء أيضا ان الصلاة على الرسول ﷺ لا يدخلها الرياء والصحيح أنه يدخلها الرياء واذا دخلها الرياء من العبد فلها وجهان وجه من جهة العبد فانه لا يثاب عليها الا اذا اخلص والوجه الثاني من جهة الرسول ﷺ فان الله تعالى يرقى رسوله ﷺ ولا يؤثر على ذلك ما فعله العبد من الرياء . نعود الى معنى الحديث الشريف (كل عمل ابن آدم له الا الصوم فانه لى وأنا أجزى به) يلوح أن المعنى والله أعلم أن العبادات ما عدا الصوم اما قولية واما فعلية مالية أو جسمية بالأعضاء كما هو معلوم لكن الصوم كف عن فعل وليس فعلا . فاذا كان الشخص نائما فهو صائم واذا كان مستيقظا فهو صائم والقراءة والحركة التي تصدر منه لا دخل لها في الصوم . فكل أفعال العبد لها صورة تضاف وتنسب اليه لأنها اقوال أو أفعال أو حركات من الحوادث التي تنسب اليه أما الصوم فانه صمدانية وتنزه عن المفطرات تنزه عن الاكل والشرب تنزه عن الفواحش تنزه عن المعاصي تنزه عن النقائص . ولما كان الحق جل جلاله من أسمائه الصمد ومعنى الصمد انه لا يأكل ولا يشرب ويقال صمد البعير أى أنه لا يأكل ولا يشرب فيكون الانسان بصمدانيته في الصوم قد تشبه باسم من أسماء الحق جل جلاله وهو الصمد فكان معنى الحديث من هذا الوجه هو أن كل عمل ابن آدم تصح اضافته اليه لأنه حركة وسكون وانتقال ومناوله وكل ذلك من حركات الحوادث تصح نسبتها واضافتها للمخلوق ولا تصح نسبتها للخالق جل وعلا الا الصوم الصادر من العبد فانه صمدانية من العبد يتشبه فيها باسم الحق جل جلاله الصمد .

فلكون الصائم تشبه برب العزة جل وعلا في صفة من صفاته من هذه الحيثية فلذلك قال « الا الصوم فانه لى وأنا أجزى به » وهذا كناية عن اجزال العطاء للصائم لأن الله سبحانه وتعالى هو الذى يجزى على كل حسنة ولكن زيادة في تكريم العبد فانه هو الذى يتولى جزاءه بنفسه ومثاله ان السلطان اذا أراد أن يجزى شخصا على عمل حسن عمله فانه يعطيه على يد أمين من أمناء السلطان واذا أراد زيادة في اكرامه وتكريمه فانه يتولى بنفسه العطاء حتى يكون جزيلا ومناسبا للمقام . والله أعلم .

PDF Compressor Pro

الدرس الثـانى عشر

بسـم الله الرحمن الرحيم

« وما تفرق الذين أوتوا الـكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينـة »
(سورة البينـــة)

وظهر رسـول الله · وحملهم الحسد على أن يخلفوا الوعد وأن يغيروا نعوته ﷺ المـذكورة فى التوراة · ومنهم من هـداه الله وآمن ونفذ ماكان عازما عليه ومنهم من حمله العنـاد على الـكفر ومنهم جاهل مقلد لغيره كاللعبـة فى يد الطفل لايعى ولا يعقل ما يقول أو يفعل ·

« وما اختلف فيـه الا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينـات بغيـا بينهم » الا لسبب ولا لعـلة الا ظلمهم وبغيهم · فان ما جاء فى الـكتاب الأخير الذى نزل على محمد ﷺ هو عين ما جاء فى كتبهم وهو أن يعبـدوا الله مخلصـين له الدين أى أن تـكون عبـادتهم لله غير معللة بعلة ومثله فى هذا الزمان مثل من يحج أو يصـلى ليقـال رجل صـالح أو من يذهب الى مولد السيد البـدوى أو الامام الحسين رضى الله عنهما لا يقصـد العبـادة وانما يقصـد ارتـكاب المنكرات ، « وما أمـروا الا ليعبـدوا الله » لا عيسى ولا العزير ولا الملوك ولا الأصنام ولا غيرها ومن العجيب والغريب أنهم ينحتون الأصـنام بأيديهم ثم يسجدون لها وعلى حد قول الشاعر :

يقضى على المرء فى أيام محنته حتى يرى حسنا ما ليس بالحسن

واذا عميت عين البصيرة والعياذ بالله فلا يستبعد مثل ذلك ·

« وما أمروا الا ليعبـدوا الله مخلصين له الدين » يجوز أن الشخص يخلص الدين وقت الصـلاة فقط أو فى بعض العبـادات ولـكنه يرتـكب الغش فى المعـاملات مع أن الدين المعـاملة والمعـاملة هى المحك لاظهار الاخلاص فى الدين لأن الاخلاص فى الدين لا يظهر حقيقـة الا بالمعـاملة أما الذى يصـلى فقـد يكون مخلصـا وقـد يكون غير مخلص فى صـلاته كمن يصلى ابتغاء قضاء حاجته ·

صلى وصـام لأمر كان يطلبه فلما انقضى الأمر لاصلى ولا صاما

---

(١) آية ٢١٣ سورة البقرة ·

PDF Compressor Pro

لذلك قال تعالى « حنفاء » فيكون المعنى « ما أمروا الا ليعبدوا الله » أى وحده متباعدين عن الشرك الجلى · « مخلصين له الدين » أى متباعدين بالاخلاص عن الشرك الخفى « حنفاء » أى مائلين عن الشر الى الخير فى جميع أعمالهم وأقوالهم وأحوالهم وملابساتهم · « ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة » · هل الأمم السابقة كانت مكلفة بالصلاة والزكاة الاجابة نعم · ويؤيد هذا قول الله تعالى « كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم » (١) ولكن هل كان الصوم شهرا كما هو مفروض على أمة محمد ﷺ أو كان مختلفا فى مدته الله أعلم ، وكانت هناك صلاة وزكاة والله يعلم كيفية كل منهما ·

وقد خص الله تعالى الصلاة والزكاة فى الآية (٢) الكريمة وذلك للمزايا التى تخص كلا منهما · فالصلاة فيها من المزايا ما يجعلها من أشرف العبادات واذا عرفت الحكمة من مشروعية الصلاة وطلب السعى لأدائها فى المساجد وفى الجماعة عرف السبب ·

الصلاة فيها فوائد كثيرة تعود على المصلى فى شخصه وتعود على المجتمع نفسه فى الدنيا وأما فى الآخرة فان ثوابها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، وثواب الصلاة اما كامل واما ناقص فالكامل هو السعى للمساجد وأداؤها مع الجماعة وثواب النفل فى رمضان كثواب الفرض فى غيره وثواب الفرض فيه كسبعين فى غيره ·

والصلاة لا تصح بغير وضوء واذا عجز عن الوضوء يتيمم وهذا لتتبين أنه لو كان الوضوء لذاته وللنظافة فقط لما شرع التيمم عند فقد الماء انما الغرض هو الطهارة القلبية وهو السر فى الوضوء وفى التيمم ·

والصلاة وقوف بين يدى الله جل وعلا والله سبحانه وتعالى لاينظر الى الصور والأجسام ولكن ينظر الى القلوب والأعمال · ولا عبرة بجمال الوجه مع قبح النفوس وعلى حد قول الشاعر :

---

(١) آية رقم ١٨٣ سورة البقرة وهى صريحة فى أن الأمم السابقة فرض عليها الصيام · لكنها لم تتعرض للصلاة والزكاة · لكن فحواها يشير الى المشاركة مع الأمم السابقة فى بعض العبادات · ولما لم تكن صريحة فى مشاركة الأمم قبلنا فى الصلاة والزكاة عبر الشيخ رضى الله عنه بقوله « ويؤيد » ولم يقل والدليل ·· الخ ·

(٢) المقصود آية سورة البينة ·

PDF Compressor Pro

جمال الوجه مع قبح النفوس كقنديل على قبر المجوسي

وقد ترى الخبيث واللحد نظيفا في ظاهره وجيها في مظهره ولكن المؤمن نير البصيرة اذا رآه فانه يفر منه فرار السليم من الأجرب لأنه يراه ممسوخا ويرى صورته قبيحة ورائحته نتنه والعياذ بالله .

وتوجد رابطة قوية بين الوضوء والصلاة اذ ليس المقصود من الوضوء غسل الأعضاء بالماء فقط انما المقصود هو فهم أن الصلاة وقوف بين يدى الله سبحانه وتعالى بالقلب والجسم معا وحتى يكون القلب مهيئا للنفحات ومستعدا لقبول التجليات يجب أن يزول عنه الران « كلا بل ران على قلوبهم ماكانوا يكسبون » (١) لأنه اذا تراكمت على القلب حجب المعاصى فانه يكون كالعين اذا أصابها الرمد فانها لا ترى ضوء الشمس .

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد

ويتكر الفم طعم الماء من سقم

وحجب المعاصى تمنع القلب من أن يبصر أو يسمع أو يشم فترى المصلى يصلى ولا يدرى للصلاة طعما ولا معنى ولا لذة ولو أدرك لذة الصلاة لشم رائحتها كما يشم رائحة العطر من يجالس بائع العطر فكيف بمن يجالس ملك الملوك خمس مرات فى اليوم والليلة ولا يدرك لمجالسته رائحة ولا طعما والله تعالى يقول أنا جليس من ذكرنى ومثله كمثل من يصلى بلسانه على الرسول ﷺ ولا يدرك للصلاة عليه طعما ولا رائحة والرسول يقول ما ذكرت فى مجلس الا حضرت فيه . لأن القلوب والعياذ بالله مملوءة بالحقد والحسد والغل وحب الشهوات فترى الشخص واقفا فى الصلاة أو فى مجلس الذكر وقلبه حاقد على من يقف بجواره فى الصلاة أو فى مجلس الذكر .

والمعروف أن الروح لطيفة نورانية عالمة علوية ولكنها بمجاورتها للبدن الكثيف تكثفت وجهلت بعد علمها وأصبحت سفلية واظلمت بسبب المعاصى بعد نورانيتها وبعدت من رحمة الله بعد قربها .

ولما كانت المعاصى قد ارتكبها الانسان بيديه وقالها بفمه ونظر اليها بعينيه وسعى اليها برجليه وسمعها بأذنيه لذلك شرع الله الطهارة فى الوضوء لأجل أن يراعى المؤمن وهو يستعد بالوضوء للصلاة تلك

PDF Compressor Pro

المعـــانى فيـلاحظ وهو يغسل يديه ما صـدر منهما من المعـاصى التى لوثت القلب فيتوب الى الله مما صـدر منه ويستغفر ربه فيطهر اليد بالمـاء ويطهر القلب بالتوبة · واذا تمضمض لاحظ ما صـدر من الفم واذا غسل الوجـه لاحظ ما صـدر من العينين وهكـذا اذا توضأ بهذه الـكيفية فانه يكون قـد أحكم الطهارة وفى نفس الوقت تتقـاطر الخطايا مع الوضـوء ويطهر القلب من الذنوب · وان لم يلاحظ ذلك فـكأنه أضـاف مع الوضوء ذنوبا اخرى · واما بالنسبة للصـلاة فان لها معـانى كثيرة يجب ادراكها : النفس خبيثة ولخبثها فانهـا لا ترى شـــيئا عنـــدها أكبر من الملك أو السلطان أو الوزير والله سبحانه وتعـــالى جعـل للخـير أسـبابا وللشر اسبابا فمن سلك طريق الخير نال خـيرا ومن سلك طـريق الشر نال شرا « فأما من أعطى واتقى وصـدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى ، وكـذب بالحسنى ، فسنيسره للعسرى وما يغنى عنه ماله اذا تردى » (١) فلذلك جعل الله تعالى مفتاح الصلاة التكبير فيجب أن تقول الله أكبر فلو قلت الله الرحمن الرحيم لا تنعقـد الصـــلاة ولا تصح ولا يفيد الا أن تقول الله أكبر لأن فيهـا سر والمقصـــود أن يتنبـه المرء ويعلم أنه لا أكبر ولا أعظم ولا قابض ولا باسط ولا معز ولا مذل الا الله تعـــالى · ورفع اليـدين بالتكبير اشـارة لطيفـة الى التشبه بالطـائر فى ضـعفه وانكساره حيث أن علامة ضـعف الطـــائر انـكسار جناحيـه وأن الله عند المنكسرة قلوبهم من اجله ووقت الصـلاة وقت ذلة وخشوع لا وقت تبجح وعجرفة ومعنى ذلك أن الانسان اذا دخل المسجد للصـلاة فمهما كان عالما أو كبيرا فى وظيفتـــه او جاهـه فيجب عليه أن يترك علمه ووظيفتـه وجاهـــه بجـانب النعـال ، والتكبير يذكر المؤمن بالوقوف بين يدى الله يوم القيامة ويذكره بقول الحق « لمن الملك اليوم لله الواحد القهار » (٢) والتكبير ورفع اليدين يذكر المؤمن بأنه يقف بين يدى الله خاليا من كل شىء ·

وأتيت اليـك خليـــا من صومى وصلاتى مع حججى

لا يملك الا الدمع فقد جاء الى ربه وترك كل شىء وراءه ·

واذا تأمل الانسان فى جميع أحواله يجـد أحواله كلهـا تتذكره بالله

---

(١) آيات ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ سورة الليل ·

(٢) آية ١٦ سورة غافر ·

PDF Compressor Pro

وهكذا المؤمن الحق فهو قد ولد وحده ويموت وحده ويقبر وحده ويسأل وحده ويحشر وحده .

ففى ساعة الولادة يولد وحده ولا دخل (للداية) ولا للطبيب الا باذن الله

وان مات مات وحده وكل شخص من أقاربه فى حساب منهم من هو فرحان ومنهم من هو حزين واقرب الناس اليه من يقول اكرام الميت تعجيل دفنه وأقرب الناس اليه ومن عصى الله من أجلهم مشغولون فى اقتسام تركته .

تعود للصلاة فنرى أن المسلم اذا دخل المسجد فانه يجد الفقير جالسا بجوار المنبر والموظف الكبير جالسا بجانب الباب فيتذكر قول الله « والسابقون السابقون اولئك المقربون » (١) . أما من شغلتهم أموالهم واهلوهم فانهم لا يدركون من الخير شيئا كثيرا وما يدركه الانسان يوم القيامة هو نتيجة ما يقدمه فى الدنيا فمن كان متأخرا عن الخير فى الدنيا هيهات أن يكون مسابقا للخيرات يوم القيامة .

واذا دخل المسلم فى الصلاة فلابد أن يقرأ سورة الفاتحة فلو قرأ بدلها سورة البقرة ما صحت صلاته لأن الفاتحة فيها فوائد وحكم كثيرة منها الثناء على الله تعالى وفيها ما يجعل الانسان يعرف قدر نفسه ومن عرف نفسه فقد عرف ربه .

تبدأ الفاتحة بالحمد والثناء على الله رب العالمين الذى أوجدهم ورباهم بنعمه المسلم والكافر والحيوان والنبات والجماد . الحمد لله واجب الوجود الذى ربى العالمين بفضله وجوده الرحمن الرحيم المنعم بجلائل النعم ودقائقها .

فى الدنيا كل شخص يمتلك شيئا مجازا وينسب ملكه لنفسه لكن يوم الدين والجزاء ينفرد الله سبحانه وتعالى بالملك « مالك يوم الدين » .

فاذا استقرت هذه المعانى فى نفس المسلم فانه لا يعبد غير الله ولا يستعين فى قضاء حوائجه الا بالله .

وكان الحق سبحانه وتعالى يقول لعبده ماذا تريد ؟ لأن العبد قد وكان الحق سبحانه وتعالى يقول لعبده ماذا تريد ؟ لأن العبد فيه

---

(١) آية ١٠ ، ١١ سورة الواقعة .

PDF Compressor Pro

سواك ، وأروح لمن غيرك ، فاذا قالها بأدب فان الله جل جلاله قد يعطيه اكثر مما طلب ٠

والله سبحانه وتعالى مالك الملك وخالق الجود والكرم يقول لعبده مانا تريد فيقول العبد أنا أطلب الهداية الى الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء غير صراط المغضوب عليهم ولا الضالين من اليهود والمشركين ٠

اذا قال الامام ولا الضالين فيقول المأمومون آمين فان من وافق تأمينه منهم تأمين الملائكة غفر له ٠ ويكون التأمين سرا ٠ والله سبحانه وتعالى اجل من أن يوقف العبد ببابه ثم يرده خائبا ٠

فاذا كان المصلى وقت الدخول فى الصلاة قد رفع يديه بالتكبير وقال الله أكبر وأخرج كل عظيم من قلبه فانه يتعين عليه أثناء القراءة فى الصلاة أن يستمر فى ملاحظة ذلك والا يعاوده الشيطان فيشغل قلبه بما لا يليق ولذلك أمره الله بالانحناء للركوع ويتذكر انه يتنازل عن عظمته وأنفته ويحنى رأسه وظهره خضوعا وخشوعا لوقوفه بين يدى الملك الجبار رب العالمين فان رفع من الركوع فقد يعاوده الغرور فلذلك أمره الله بالسجود ٠ وكان لسان حال القدرة يقول له أيها المغرور الشامخ بأنفك أترى ممم خلقت ؟ خلقت من هذه الأرض التى يطؤها البر والفاجر ويطؤها الكلب والخنزير ٠ خلقت من التراب فلا ينبغى لك أن تتكبر على الله وتتبجح على الله وتتنفخ على الله وعلى عباد الله وتذكر قول الله « منها خلقناكم » خلق آدم من التراب مباشرة وخلق أولاده من النطفة والنطفة من الدم والدم من الغذاء والغذاء من التراب « وفيها نعيدكم » (١) عند الموت حيث يدفن فى الأرض الملوك والفقراء والعلماء والأنبياء « انك ميت وانهم ميتون » (٢) والملك لله الواحد القهار ٠

فمن لاحظ فى صلاته بعض هذه المعانى فانه يتحقق من قول الله تعالى « ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر » (٣) كما أن الصلاة يترتب عليها كثير من المصالح الدنيوية فان الذى يحافظ عليها يعطيه الله رجحان العقل الذى لا يتأتى بالعلم اللفظى ٠ واذا دخلت المسجد ترى

---

(١) آية ٥٥ سورة طه ٠
(٢) آية ٣٠ سورة الزمر ٠
(٣) آية ٤٥ سورة العنكبوت ٠

PDF Compressor Pro

الفرق بين الطهارة والنجاسة وبين البساط الذى تدوس عليه بالنعل فى الديوان وبين البساط المفروش فى المسجد أو الحصيرة التى يجب أن تخلع نعلك قبل أن تدوس عليها لا لأن الحصيرة ذات قيمة انما لكونها أعدت للصلاة وليس من المروءة أن يضع الانسان نعله موضع جبهة الآخرين ٠

واذا تقدم الامام للصلاة فانه يتقدم على الوزير وعلى المأمور وينتظر الوزير حركة الامام ولا يجوز له أن يتحرك قبله والا بطلت صلاته ٠

ومن هنا يرى المؤمن أنه لابد من وجود رئيس ومرءوس حتى لاتضيع الأمور فوضى وأنه لابد من النظام كما فى الصلاة فاذا كنت فى الصلاة قد ارتضيت الامام واتبعته فكذلك لابد أن تطيع رئيسك وتتبعه مادام فى ذلك مصلحة ٠

وكذلك يرى المؤمن فى المسجد أناسا يتعرف عليهم من أهل بلده أو من جهات أخرى كما فى الصلوات العامة كالعيدين والجمعة فيكون ذلك مجالا للتعارف والتضامن وسؤال بعضهم عن بعض كما قال تعالى « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم » (١) فالجميع اخوان ولا فضل لعربى على عجمى الا بالتقوى ، كذلك ليعلم المسلمون أحوال الفقراء منهم فيتصدقوا عليهم ويساعدوهم ومن هنا نعلم لماذا كانت الزكاة قرينة الصلاة فانه من اجتماع المسلمين فى صلاة الجماعة يتعرفون على أحوال الفقراء ومدى حاجتهم للمساعدة والمعونة والتوسيع على عيالهم خصوصا فى مناسبات الأعياد وغيرها ٠

ومن هنا ظهرت الحكمة فى كون الزكاة قرينة للصلاة حتى فى الشرائع السابقة « وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة » ٠

فمما ورد فى الكتب المنزلة السابقة من عبادة الله واقامة الصلاة وايتاء الزكاة والميل عن الشر الى الخير هو ما جاءت به جميع الشرائع من لدن آدم عليه السلام الى عهد النبى ﷺ والله أعلم ٠

---

(١) آية ١٣ سورة الحجرات ٠

PDF Compressor Pro

الدرس الثالث عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

(تابع سورة البينة)

بعد أن ذكر القرآن الكريم حال أهل الكتاب والمشركين قبل البعثة وبعدها شرع يبين مآل الفريقين فى الآخرة فقال (ان الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين) من للتبعيض لأن منهم من آمن ومنهم من كفر - فمن كفر منهم فهو (فى نار جهنم) هل هم فيها ؟ أى هل هم مظروفون فى النار الآن وقت نزول الآية ؟ الجواب بالنفى اذن فما معنى فى الظرفية ؟ الجواب أن المحقق وقوعه كالواقع فعلا فهم فعلا مظروفون فى النار الآن لأن صورة النعم التى فيها الآن هى نفسها جهنم بصورة ثانية لأن النار هى نار من حيث كونها دار غضب - فالشخص الجالس فى الخمارة ينزل عليه غضب الله فهو فى النار - وكذلك كل من يفعل المعاصى فهو فى نار ولكن عمى القلب لا يجعله يرى النار التى هو فيها والعياذ بالله . فهم فى النار ومظروفون فيها - لكن العذاب فى النار متفاوت من كفر وتعامل بالربا فليس عذابه كعذاب من كفر فقط ومن كفر وتعامل بالربا والزنا فعذابه أكبر - فهم يعاقبون على ارتكاب المعاصى أيضا ويدل على ذلك قول الله تعالى (ما سلككم فى سقر قالوا لم نك من المصلين .. الخ) (١) أعنى أنهم « مودة » على حسب القرن العشرين فلا صلاة ولا صوم ولا ذكر ولا صدقة على المساكين بل زنا وشرب خمر وشرب الدخان فى مجالس القرآن وتبجح ووقاحة . (ان الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين فى نار جهنم خالدين فيها) مظروفون فى النار وخالدون فيها على الدوام . (كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب) (٢) لا يموت الواحد منهم ولا يحيى أى لا يموت فيستريح ولا يحيى حياة هنيئة والعياذ بالله .

هذا بيان حال الكفار والمشركين يوم القيامة فما هو حال الفريق الثانى ومن هم ؟ هل هم الأغنياء ؟ هل هم الفقراء ؟ هل هم العلماء ؟ هل هم أهل القاهرة ؟ هل هم أهل مكة ؟ هل هم العرب ؟

---

(١) آية ٤٢ ، ٤٣ سورة المدثر .
(٢) آية ٥٦ سورة النساء .

PDF Compressor Pro

الجواب لا شيء من ذلك انما هم الذين آمنوا وعملوا الصالحات » ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات » أيا كانوا · فمن آمن وعمل الصالحات أيا كان عربيا أو اعجميا · سوداتيا أو تركيا أو شاميا أو قرشيا أو حبشيا · فمن كفر فانه في جهنم ولو كان من نسل اسماعيل ومن آمن فهو في الجنة ولو كان من نسل يهود ·

وليس العلم حجة للعالم لدخول الجنة بل هو حجة عليه اذا لم يعمل بما علم · وكذلك اذا لم يكن يقرأ فان سماعه القرآن حجة عليه فاذا لم يكن يقرأ الآية « ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا » (١) فقد سمعها ولم يعمل بها ويحاسب يوم القيامة على مخالفتها ولا يستطيع الانكار يوم تشهد عليه أذنه ويشهد عليه لسانه ·

« ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات » لم يقل ان الذين آمنوا (لهم جنات) ليعرف كل انسان ان دعوى الايمان ان لم يقم عليها دليل فهي دعوى كاذبة والدليل هو عمل الصالحات ـ والدعوى الكاذبة لا تخفى على الله لأن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء وهو مطلع عليه في جميع أحواله · ولا يجوز له أن يفعل المعاصي ويقول « ان الله غافر الذنب وقابل التوب » لأن الله تعالى يقول عقبها « شديد العقاب » (٢) فهو غافر الذنب لمن لم يصر على الذنب وقابل التوب لمن تاب وصدق في التوبة · فلا يصح لك أيها المسلم أن ترتكب المنكرات اتكالا على عفو الله لأن الله أنزل القانون من السماء فلا تخالف القانون المنزل وترتكن على العفو لأن العفو له شروط واضحة في القانون ·

« ان الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شر البرية » اجعل التفضيل على بابه فشر البرية كثيرون فالمؤمن العاصي من شر البرية والزاني من شر البرية ومؤذي الجار من شر البرية لكن أشر الجميع هم الكفار والمشركون ·

« ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات ·· أولئك هم خير البرية » اجعل التفضيل هنا أيضا على بابه فالمؤمن المتصدق من خير البرية

---

(١) آية ١٢ سورة الحجرات ·

(٢) آية ٣ سورة غافر ·

PDF Compressor Pro

والمؤمن المصطفى من خير البرية ، ولكن أخيرهم جميعا من آمن وعمل الصالحات - وجزاؤهم المدخر لهم يوم القيامة هو جنات « لهم جنات » ليست محددة بوقت بل هي « جنات عدن » أي اقامة دائمة « تجرى من تحتها الأنهار » تجرى من تحت قصورها أنهار ليست بأخاديد أو حفر فى الأرض ولكنها تجرى فوق الأرض لو اشتهى المؤمن عسلا لوجد العسل دانيا منه ولو اشتهى الماء الزلال لوجده دانيا منه بدون تعب أو مشقة وفيها أنهار من خمر لذة للشاربين وخمر الجنة لا يشربها من يشرب خمر الدنيا من أولئك الذين يتعاطون الخمر والعياذ بالله بدعوى انها تنسيهم الهموم ليستعينوا بها على الصبر على مصائبهم ونسوا قول الله تعالى « واستعينوا بالصبر والصلاة » أى استعينوا على قضاء جميع حوائجكم فى الدنيا والآخرة بالصبر والصلاة وشكر الله تعالى على نعمه .

« أولئك هم خير البرية جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجرى من تحتها الأنهار » لو نظر الشخص منهم لهذه النعم وظن انه سيتركها بعد مدة لكان يتألم وتتنغص عليه حياته وتنقص لذته لذلك قال تعالى « خالدين فيها » ولما كان الخلود يحتمل أن يعبر عن طول المكث لذلك اعتنى الله تعالى بأهل الجنة وطمأنهم بقوله « خالدين فيها أبدا » .

ولكن هناك شيء آخر مهم وفوق ذلك كله . فمن الناس من يستضيفه الملك ويكون مسرورا بهذه الضيافة ولكن سروره ليس من كثرة الاكل والطعام والشراب ولكن سروره من أن دعوة الملك له تدل على الرضى . وهذا هو المهم عنده وان كان الأكل مهما عند غيره . فكذلك أهل الجنة فان من أهلها من لوحجب عن رؤية وجه ربه الكريم فانه يستغيث من الجنة كما يستغيث أهل النار من النار . ومنهم من يزوجه الله بمئات من الحور العين لكن اللحظة التى يحجب فيها عن سيد المرسلين ﷺ يستغيث فيها من الحور العين وينسى كل شيء .

والرضى فى قول الله تعالى « رضى الله عنهم ورضوا عنه » والخشية فى قوله « ذلك لمن خشى ربه » تحتاج لكلام فى الدرس القادم ان شاء الله .

PDF Compressor Pro

الدرس الرابع عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الرضى الذى يحصل فى الجنة هو ثمرة الرضا فى الدنيا . والذى غضب الله عليه فى الدنيا لا يرضى عنه فى الآخرة .

وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن يجزيهم جنات تجرى من تحتها الأنهار فهم ارضوا ربهم فى الدنيا فلم يرهم فى الدنيا حيث نهاهم ولم يفقدهم حيث أمرهم وحمدوا ربهم فى السراء والضراء وكانوا راضين عن ربهم فى جميع الأحوال فأثابهم الله وقبل أعمالهم وقابلهم بالرضى من ذاته العلية . والرضى لمن يرضى . أى من يرضى عن الله يرضى الله عنه . فاذا كنت أيها المؤمن غير راض عن ربك ولم تعجبك المقادير ولم تعجبك الأحوال فى الدنيا التى قسمها الله لك فان كنت فى فقر اعترضت على الله وان كنت فى غنى آذيت عباد الله واستغنيت بمالك . فكأنك تريد أن تكون الأقدار على حسب مرادك فاذا كنت كذلك فلا نصيب لك ولا حظ لك فى رضا الله جل جلاله .

فالمؤمنون يرون ثمرة أعمالهم المقبولة ويرون رضوان الله عليهم نظير هذه الأعمال ونظير صبرهم ورضاهم فى الدنيا .

لمن هذا الجزاء من الجنات وما فيها مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ورضا الله جل جلاله ؟ قال « لمن خشى ربه » .

الايمان كما قلنا دعوى لابد لها من دليل ولكن يجوز أن الانسان يعمل الصالحات بظاهره فقط فتراه يصوم ويصلى ولكنه ينظر للمحرمات ويعترض على الله ويؤذى عباد الله ويستهزىء بهم . أو يصلى ويصوم ليقال رجل طيب ويتصدق ليقال رجل محسن وقلبه مملوء بالقسوة على عباد الله ولا رائحة للرحمة فيه . أو تراه يتعمق فى الصلاة ويطرق رأسه ويتشدق فى التكبير والقراءة وهو لم يستحضر فى قلبه معانى الصلاة والوقوف بين يدى الله لأن قلبه مشغول بالمعاصى والآثام مطبوع فيه صور ما رآه من المحرمات ومن آلات اللهو واللعب .

PDF Compressor Pro

لما كان الأمر كذلك لزم التنبيه الى أن الأعمال كلها ان لم تكن مصحوبة بالخشية من الله فانها لا تستحق دخول الجنة ولا شم رائحتها . فعمل الصالحات لابد وأن يكون خوفا من الله وخشية من الله بحيث يكون الخشوع لله مستقرا فى القلب « ذلك لمن خشى ربه » بعض المفسرين يقدرون مضافا فيقولون « لمن خشى عقاب ربه » أى المذكور الذى خاف من عقاب ربه وترك المعاصى وحافظ على الطاعات . نعم هذا خوف ولكن هذا هو ادنى المراتب لأنه شأن عبد السوء . الذى لا يعمل الا خوفا من عقاب سيده . مثال ذلك الرجل السفيه الذى يخاف من الحاكم خوف عقوبة فهو يترك الأفعال السيئة خوفا من عقوبة القانون وليس احتراما للقانون بدليل أنه يفعلها بعيدا عن الرقابة .

اما غيره ممن هو أرقى منه فانه تستولى على قلبه هيبة الحاكم فتراه يخشى ويخاف هيبة من الحاكم ولذلك قال ﷺ « انى لأخوفكم من الله » . وهنا يتبادر للذاهن سؤال كيف يقول ذلك ﷺ وقد قال له الحق جل جلاله « انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وما تأخر » (١) . والاجابة انه كلما ازداد قرب المرء من الرئيس الأعلى كلما اشتد خوفه فمثلا الوزير يخشى الملك لأنه يعلم أن مركزه معلق باشارة منه .

فيكون المفهوم من الآيات أن ذلك الجزاء الحسن من الجنة وما فيها من النعيم والرضا من الله انما هو لمن خشى ربه وخافه خوف اجلال ومهابة لمن خاف كبرياء الحق وقهره واستقرت الخشية فى قلبه . واذا كان الجزاء ثابتا لمن خاف العقاب فكونه لمن خاف مقام ربه من باب أولى .

الخشية أو الخوف محله القلب والرجاء محله القلب والخوف والرجاء متلازمان لا متناقضان كما قيل ذلك .

الأشياء جميعها فى الدنيا والآخرة اما محبوبة واما مكروهة . فالدنيا فيها صحة ومرض وغنى وفقر وعز وذل وبرد وحر وسفر وحضر وهكذا كل الأشياء والآخرة فيها جنة ونار ورضى وغضب .

---

(١) أول سورة الفتح .

PDF Compressor Pro

الأشياء التى حدثت فى الماضى تكون محبوبة اذا كانت حسنة وتكون مكروهة اذا كانت سيئة فهى ذكرى أو تذكر · فما تعلق بالماضى فهو تذكر · وان كان فى الحال فيقال له وجد أو ذوق بحيث اذا رأى حالة حسنة يحصل للقلب افراح وانبساط واذا رأى حالة لا تسر يحصل للقلب اكتئاب وانقباض · ويظهر اثر ذلك على الوجه ·

أما ما يتعلق بالمستقبل فاذا توقع القلب حصول أمر محبوب فانه يسر ويظهر على الوجه علامات السرور وهذا يقال له رجاء وهو قول العلماء أن الرجاء تعلق القلب بمرغوب فيه مع الأخذ فى الأسباب لكن اذا توقع القلب أمرا مكروها فى المستقبل من عقاب أو وعيد مثلا فهذا هو الخوف ·

فاللذة والانتعاش والراحة عند انتظار القلب لشىء محبوب يحصل فى المستقبل فهذا هو الرجاء واذا تألم من شىء مكروه يحصل فى المستقبل فهذا هو الخوف ·

هل تكون ملازمة المرء للرجاء والخوف على التناوب أو تكون ملازمته لهما كالطائر بين جناحيه بان يكون أحد جناحيه هو الرجاء والآخر هو الخوف · الأرجح أن يكون المريد بين الرجاء والخوف كالطائر بين جناحيه · ومع ذلك لا تنافى أن يكون ترجيح احدهما على الآخر بمثابة الدواء المركب من صنفين فتارة يرجح أحدهما على الآخر لمصلحة وتارة يتعادلان وقد نقل عن الامام الشافعى رضى الله عنه قوله ان الشخص بين الرجاء والخوف يكون كالطائر بين جناحيه · بينما نقل عن الشيخ الدردير رضى الله عنه قوله :

وغلب الخوف على الرجاء وسر لمولاك بلا تنائى

ولا منافاه بين هذا وذاك لأن كلام الشافعى رضى الله عنه يعنى أنه لا بد للانسان من الرجاء والخوف وأن يكون معتدلا بينهما ولو اعطى مقام الولاية ·

أما عبارة الشيخ الدردير رضى الله عنه فمعناها أيها الغافل والواقف مع المادة ان ساعدتك العناية وفتح الله لك باب الهداية فانت مبتدىء فشمر عن ساعد الجد وغلب الخوف على الرجاء فان الخوف بمثابة السوط للدابة يحفزها الى الخير ويذودها عن المعاصى فالهبها

PDF Compressor Pro

بسوط الخوف حتى تؤدى ما عليها من الواجبات بهمة ونشاط واجتهاد لأنه ما وصل من وصل بالقعود والنوم والتقاعس . فان رسول الله ﷺ كان يقوم الليل حتى تورمت قدماه .

علم الله جل جلاله عدم استقلال الروح بالتكاليف لذلك خلق الله لها البدن والأعضاء مطايا وعلم الله أن المطية تحتاج الى زمام والى سوط وأحدهما لا يكفى فالزمام يقودها والسوط يخيفها فلو أرخيت لها الزمام مشت الدابة كيف شاءت حتى تهلك وتهلك صاحبها فاذن يصلحها السوط .

فالزمام هو الرجاء والسوط هو الخوف .

وسبق أن قلنا ان الأشياء كلها منها ماهو محبوب ينشرح له القلب ويجد له لذة وارتياحا وهذا هو الرجاء ومنها ماهو مكروه ينقبض منه القلب وهذا هو الخوف .

ولكل من الرجاء والخوف ثلاثة أقسام افراط وتفريط وحد وسط ، بل كل الأمور التى كلفنا الله بها لها حدا الافراط والتفريط والحد الوسط بينهما .

فمثلا بذل المال فيه افراط وهو الاسراف وفيه تفريط وهو التضييق ولذلك يقول الحق جل جلاله « ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا » (١) .

فالرجاء له حدا الافراط والتفريط « والحد الوسط » بينهما وكذلك الخوف . وضربنا المثل للرجاء بزمام الدابة وللخوف بالسوط . فالافراط فى الرجاء يعنى مجاوزة الحد بأن تترك للدابة الزمام وترخيه الى الآخر فتمشى كيف شاءت بدون أن تسوسها وتقودها وهذا لا يقال له رجاء بل يقال له حمق وغرور . والتفريط فى الرجاء هو تضييق الواسع حتى يحصل اليأس ونتيجته أن ترجع الراية للوراء حتى تقع وتهلك « والحد الوسط » أن تجعل العقل يمسك بزمام البدن .

والخوف كذلك فالافراط فيه هو التفريط فى الرجاء والتفريط فى الخوف هو الافراط فى الرجاء . ومثال الأخير أن يفعل الانسان المعاصى ويترك

---

(١) آية ٢٩ سورة الاسراء .

PDF Compressor Pro

لدلالة الوسن الزمام لفعل المحرمات ثم يقول ان الله غفور رحيم وينسى أن الله تعالى اذا اطلق فى آية قيد فى آية أخرى فقال « وانى لغفار » لكن « لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى » (١) .

ويفهم من هذه الآية الكريمة أن الغفران له شروط اربع - لذلك يجب أن تعلم ايها المسلم أن الاستغفار ليس عبارة عن عدية تقرأ على المسبحة الفا أو اكثر من الف والقلب مثقل بالمعاصى بل يجب تطهير القلب بالاستغفار .

وهذه الآية ذكر بعض المفسرين أن ظاهرها شديد جدا يكاد يوقع فى اليأس . وروى عن الامام الغزالى أنه قال ان هذه الآية أصعب آية فى القرآن لان من شروط المغفرة هذه الشروط الأربعة وهى شديدة .

ولكننى فهمت فى هذه الآية فهما هو :

التوبة الشرعية يشترط لها ثلاثة عناصر الاقلاع عن الذنب فى الحال والندم على الفعل والعزم على عدم العودة الى الذنب . والآية تضمنت هذه العناصر « وانى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى » والمعنى وانى لغفار لمن تاب ورجع الى ربه وعلم أن له ربا يغفر الذنب وأنه عبد أساء فى حق مولاه فاعترف بسوء ماجنت يداه وانه قصر فى حق سيده وأنه آمن بكرم ربه وأنه رحيم يعفو عمن اعترف بين يديه بجرمه فهذا آمن بأن له ربا يغفر الذنب فرجع اليه وأقلع عن ذنبه فى الحال - واعترف بجرمه بين يدى ربه بأنه أذنب وأساء ولم يكن ينبغى له أن يفعل ذلك مع سيده وندم على ما فعل وعزم فى قلبه عزما اكيدا على الا يعود للذنب .

فالآية الكريمة « وانى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى » فكان المعنى وانى لغفار لمن أقلع عن ذنبه وتباعد عن المعاصى وعلم أن له ربا يغفر الذنوب فرجع اليه وهذا مفهوم قول الحق لمن تاب وآمن . ويرجوع العبد الى ربه والاعتراف بالذنب والندم على فعله يكون بذلك قد عمل عملا صالحا . وبعزمه على الا يعود للذنب ابدا

---

(١) آية ٨٢ سورة طه .

PDF Compressor Pro

يكون قد اهتدى الى الصراط المستقيم ووافق الصواب وسلك الطريق القويم . وهذه هى شروط التوبة والله أعلم .

والرجاء والخوف كما قلنا لكل منهما حدا الافراط والتفريط والحد الوسط .

والرجاء كالزمام للدابة والخوف كالعصا للدابة . والرجاء والخوف مثلا زمامان وكل منهما يستعمل عند اللزوم .وعند تغليب الرجاء يخشى من استرسال الدابة مع الهوى فيجب أن تسلط عليها الخوف . وعند تغليب الخوف يخشى عليها من الوقوع فى اليأس فاستعمل معها الرجاء وشاور لها بالطعام والبرسيم حتى تقوم وتتبعك .

علم الله أن بعض العباد يرغبون فى الطعام والشراب واللذات فرغب العوام بقوله « حور مقصورات فى الخيام » (١) وقال « فيهما من كل فاكهة زوجان » (٢) وهذا الترغيب هو من الرجاء ولكن الخواص علم الله أنهم يترفعون عن الفاكهة والحور والقصور والطعام وأنهم يعبدون الله حبا فى الله لا للجنة .

وكلهم يعبدوك من خوف نار ... ويرون النجاة حظا جزيلا

او لكى يدخلوا الجنان فيحظوا ... بقصور ويشربوا سلسبيلا

ليس لى فى الجنان والنار حظ ... انا لا ابتغى بحبى بديلا

وابن الفارض يقول :

ليس حظى من الجنان نعيم ... غير انى اريدها لأراكا

وقد ترفع الخواص عن النظر الى هذه اللذات وعلم الله منهم ذلك فقال « وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة » (٣) فالله تعالى يرجيهم بالتمتع بالنظر الى وجهه الكريم حتى يجدوا ويجتهدوا . واذا كان الحق جل جلاله يرجى عباده الصالحين بالنظر لوجهه الكريم فى الجنة

---

(١) آية ٧٢ سورة الرحمن .
(٢) آية ٥٢ سورة الرحمن .
(٣) آية ٢٢ ، ٢٣ سورة القيامه .

PDF Compressor Pro

حتى يجتهدوا فى العبادة فانه مع الأسف تجد كثيرا من الناس يجد ويجتهد ويسعى لرؤية راقصة فرنسية قدمت للبلاد حديثا ٠

علمت أن المطلوب أن يكون الرجاء والخوف متعادلين عند اللزوم وأنه يجب تغليب الرجاء على الخوف أو تغليب الخوف على الرجاء عند اللزوم ٠

فلذلك يجب أن يمسك العقل الزمام لسياسة الدابة والسوط لتخويفها والأصل أن يسلك الانسان المسلك الوسط كما قال تعالى « يرجون رحمته ويخافون عذابه » (١) والسعادة فى ذلك فرجاء الرحمة يحدث فى النفس نشاطا وحبا فى فعل الخير ٠ ولكن ان استرسل فى الرجاء ربما يقع فى الغرور كما يفعل بعض العوام فانه يرتكب الكبائر ويقول أمة النبى بخير مع أن المراد أمة الاجابة لا أمة الدعوة لأنها تشمل الكفار ٠ أو من يطمع فى المغفرة وذلك أمر يأتى فى المستقبل والمستقبل غيب لا يعلمه الا الله ولذلك يقول سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه (لو نزل كتاب من السماء فيه غفرت لجميع الخلق ماعدا واحد لخفت أن أكون انا الواحد) ٠

وكذلك فان الخاتمة طبق السابقة والسابقة مجهولة لأنه ورد أن الحق جل جلاله قبض قبضة وقال هذه فى الجنة ولا أبالى وقبض قبضة وقال هذه فى النار ولا أبالى ٠ وورد أن الرسول ﷺ قال (ان أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى لا يكون بينه وبينها الا ذراع فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها) ٠

اذن فلابد أن يستعمل الانسان سوط الخوف عندما تهم النفس بالاسترسال فى المعاصى فان همت بالنظرة المحرمة يسحب عليها سوط قول الله تعالى « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم » (٢) وان همت بالكذب يسحب عليها سوط قول الله تعالى « ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد » (٣) ٠ وان أهملت فى مواعيد الصلاة ولم تهتم بصلاة

---

(١) آية ٥٧ سورة الاسراء ٠
(٢) آية ٣٠ سورة النور ٠
(٣) آية ١٨ سورة ق ٠

PDF Compressor Pro

الجمعة والجماعة فليفتح عليها باب الخوف ويضرب لنفسه مثلا أنه لو فاتته لذة أو فاته شراء حزمة فجل على الغداء فانه يتأثر ويحزن جدا ولا يتأثر ولا يحزن اذا فاتته الصلوات فى مواعيدها أو فاتته الجمعة أو الجماعة فيجب عليه أن يذكر نفسه أنه محاسب وأن عذاب النار امامه وعقاب الله محقق له اذا لم يلحق نفسه وأن طريق النار لا يوصل الى الجنة ٠

واقرب مثال لهذا الرجل الذى يسترسل فى الرجاء هو مثال الرجل الذى يجلس على القهوة ويحلم بأنه اشتغل بالتجارة وربح منها مئات الجنيهات او مثال الجائع الذى يردد بلسانه كلمة الاكل مئات المرات والكلام وحده لا يشبع الجوعان ولا يروى الظمآن ولا يبشر بحسنات ولا يدخل الجنان ٠

ولكن لكى يقال للشخص راجيا فانه يجب عليه أن يأخذ فى اسباب مراده فاذا كان مراده أن يحصل على ربح من الزراعة فعليه ان يستأجر الأرض وأن يبحث هل هى صالحة أو سبخة وهل ايجارها مناسب أو غير مناسب وماذا يصلح للزراعة فيها ثم يهيؤها بالحرث والبذر بالكيفية الصحيحة ثم يسقيها بالماء بكيفية مخصوصة ثم ينقى الحشائش منها ثم ينتظر المحصول ٠ وهذا المثال ينطبق على أرض القلب فيجب أن يتعهد المؤمن أرض قلبه ويحرثها ويقلبها بالاستغفار ويعرضها لشمس المعرفة فتسلط عليها شعاعها وحرارتها فتخرج منها رطوبات الشكوك والشرك الخفى ثم يضع فى قلبه بذر الايمان ويدفنه فى أرض الخمول ويضع نفسه تحت رجليه تواضعا لله ويتعهد البذر بماء الطاعات والأعمال الصالحة فانه ان لم يفعل ذلك لا يرقى الى ملكوت السموات ولا يجنى ثمرة العمل والتعب ٠ وعليه أن يراعى قول الله تعالى « ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا » (١) وقوله « ومن الليل فتهجد به نافلة لك » (٢) وقوله « قم الليل الا قليلا » (٣) وأن يلاحظ الا يستغرق فى العبادة وينام الليل فيعجز عن أداء عمله

---

(١) آية ١٠٣ سورة النساء ٠
(٢) آية ٧٩ سورة الاسراء ٠
(٣) آية ٢ سورة المزمل ٠

PDF Compressor Pro

والسعى على معاشه ومعايش أولاده . كما يجب عليه بعد وضع بذرة الايمان وتعهده بماء الطاعات أن ينقى قلبه من شوك الأخلاق الرديئة ثم يقوم على حراسة الأرض وانتظار المحصول وهذا وقت الرجاء فى الله وحده فهو القادر على انبات الحب واخراجه من الأرض « ان الله فالق الحب والنوى » (١) وهو وحده الخالق لكل شىء وهو القائل « أفرأيتم ما تمنون أأنتم تخلقونه أن نحن الخالقون » (٢) « أفرأيتم ما تحرثون أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون » (٣) ثم يقول توكلت عليك يا رب وأسألك أن تمنع عن الأرض الصواعق والجوائح والآفات فانها كلها فى قبضة الحق جل جلاله .

هذا طرف مما يتعلق بالرجاء .

واما الخوف فان الافراط فيه يبعث على اليأس فعليه أن يفتح باب الرجاء ويتذكر قول من قال (لو فعل العبد ذنوبا بحيث لو جسمت لبلغت عنان السماء ثم قال تبت وندمت يقول له الحق جل جلاله سامحتك وعفوت عنك) .

وقد جمع هذا كله قول المصطفى ﷺ (الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى) .

فالكيس من سلك الطرق الموصلة للجنة وعمل الأعمال الصالحة وسلك طريق العلم بالتعلم والولد بالتزوج والعاجز بعكس ذلك الذى يركن ويكسل ويتمنى بلسانه حصول المراد والله أعلم .

---

(١) آية ٩٥ سورة الأنعام .

(٢) آية ٥٨ ، ٥٩ سورة الواقعة .

(٣) آية ٦٣ ، ٦٤ سورة الواقعة .

PDF Compressor Pro

الدرس الخـامس عشر

بسـم الله الرحمن الرحيم

« والعاديات ضبحا • فالموريات قـدحا • فالمغيرات صبحا • فاثرن به نقعـا • فوسطن به جمعـا • ان الانسان لربه لـكنود • وانه على ذلك لشهيد • وانه لحب الخير لشديد • افـلا يعلم اذا بعثر مافى القبور وحصل ما فى الصدور • ان ربهم بهم يومئذ لخبير » (١) •

فى السورة السابقة (٢) قرر القرآن الـكريم أن الأرض سيأمرها الله سبحانه وتعـالى فتتحرك حركة شـديدة فتخرج اثقـالها وتطرح ماكان فى جوفهـا على ظهرها ويشتد الهول حتى يقول كل انسان مالها • عنـد ذلك تحـدث الأرض النـاس أخبـارها وتخبرهم بكل ماوقع منهم على ظهرها • عند ذلك يصـدر النـاس ويخرجون من قبورهم أشتاتا متفرقين من بيض الوجوه فرحين مستبشرين مسرورين ومن سـود الوجوه محزونين فزعين مرغمين • والله تعـالى يرى كل انسان ما فعـل من خير وما فعل من شر •

خوف الله الانسـان بهـذه السورة الـكريمة • وسـبق أن بين الله سبحانه وتعـالى جزاء من يخشى ربه فى قـوله فى آخر سـورة البينـة « ذلك لمن خشى ربه » (٣) لمن خاف يوم ربه ، لمن خاف مقام ربه •

ولـكن الانسان لم يشكر نعمة ربه ولم يشكره على هذا البيـان ولم يحرك قلبـه الانذار بأهوال يوم القيـامة بل اسـتمر فى لعبـه ولهوه وعصيانه وتركه للطـاعات فلذلك أقسـم الله سـبحانه وتعـالى فى هـذه السورة بخيل المجـاهدين على أن الانسان لربه لـكنود •

« والعـاديات ضبحا » الظـاهر كما عليه جمهور المفسرين أن هـذه الصـفات صـفات خيل المجاهـدين • وقـد نقل عن سـيدنا على بن أبى طالب رضى الله عنه قوله ان العـاديات ضـبحا والموريات قـدحا هى ابل الحجاج وهـذا القول ان صح فهو مشكل لأن الله تعـالى يقول بعـد ذلك « فالمغيرات صـبحا » وهـذا لا ينطبق على ابل الحجاج وهـذا يدل على

---

(١) سورة العاديات وعدد آياتها ١١ آية •
(٢) المقصود سورة الزلزلة •
(٣) آخر سورة البينـة •

PDF Compressor Pro

أن سيدنا علي رضي الله عنه وكرم الله وجهه لم يقل ذلك لأن الكلام غير معقول ولا مفهوم · وهذا الدفاع عن سيدنا علي خوفا من أن يتطاول عليه لسان ·

« والعاديات ضبحا » أقسم الله بخيل المجاهدين تعدو مسرعة ويسبب سرعتها في العدو يسمع لها صوت يقال له الضبح وهو صوت يخرج من جوفها ناشيء عن سرعة الجرى · فالخيل وهي تعدو مسرعة تضبح ضبحا · « فالموريات قدحا » أي والخيل في حال عدوها بسرعة تقابلها الأحجار الصغيرة تحت حوافرها فتكون الحوافر كالزناد على الأحجار تورى وتظهر نارا بجوارها · وظهور هذه النار يدل على أن سيرها يكون في الليل فاذا أقبل الصبح كانوا مغيرين على العدو « فالمغيرات صبحا » · وكانت هذه بعض خطط الرسول ﷺ حين كان يسير بالجيش ليلا لملاقاة العدو فاذا انقضى الليل وأقبل الصبح اشتبك مع الأعداء · وعند الاغارة وهجوم الفرسان يثور الغبار « فأثرن » أي المغيرات وقت الصبح « به نقعا » أي غبارا « فوسطن به جمعا » أي توسطن جمع العدو أي لم يلبث العدو أن ينظر الا وقد وجد الجيش في وسطهم ·

بذلك يظهر تسلسل هذه الآيات · أقسم الله تعالى بهذه الصفات وهي صفات خيل المجاهدين واذا كانت فرس المجاهد لها قيمة عند الله لدرجة أن يشرفها ويقسم بها فكيف بدرجة المجاهد عند الله · أقسم الله بالفرس وأثنى على صفاتها بالعدو والاغارة والسير ليلا فكيف بمنزلة المجاهد في سبيل الله اذا تعلم أساليب الحرب وحمل السيف وشد الحزام والاستعداد للجهاد · انها منزلة لا يعلمها الا الله ·

أقسم الله بخيل المجاهدين « ان الانسان لربه لكنود » وقال « لربه » زيادة في التوبيخ والتقريع « لكنود » أي لجحود · والانسان من طبعه الجحود لأنك ترى بعض الناس يجحد أقرب الناس اليه وهم أمه وأباه · يتجرأ عليهما بالاهانة والعقوق وهما اللذان ربياه صغيرا وقاما على خدمته وأنفقا عليه قبل أن ينفقا على نفسيهما · وترى الناس جميعا يرمون ذلك العاق بالخيانة لأبويه وينسون أن الله تعالى هو الذي خلقه وأودعه في بطن أمه وحفظه في جوفها وأرسل له الغذاء

PDF Compressor Pro

فيها ثم أخرجه من بطنها وأجرى له من بين فرث ودم لبنا وافاض عليه من النعم ما لا يعد ولا يحصى وهو مع ذلك يجاهر ربه بالعصيان والجحود ولا يجد من يلومه على ذلك ولا من يقول له هذا عيب ٠

« ان الانسان لربه لكنود » ومع الأسف فان الانسان نفسه يشهد على نفسه بانه كنود وجاحد ولذلك قال الحق جل جلاله « وانه على ذلك لشهيد » أى لشهيد على انه جاحد وكافر بنعمة ربه لأن الانسان لا يقبل على نفسه أن يعامل بالمعاملة التى يعامل بها ربه لأنه لو أحسن الى شخص وأعطاه صدقة او كان له فضل عليه فانه لا يقبل من هذا الشخص الا يقف له وهو ماش وان استطاع معاقبته عاقبه على اساءته ٠ فاذا كان الانسان لا يقبل ذلك لنفسه فكيف يقبل أن يعصى الله ويسىء الى الله وهو الذى غمره بالاحسان والفضل ٠ « وانه على ذلك لشهيد » يشهد على نفسه أن هذا نقص وأن هذا لا ينبغى وأنه لا يصح له أن يقابل الاحسان بالعصيان ٠ ومع ذلك فهو مع اساءته وعدم امتثاله لأمر ربه يطمع أن يدخله ربه الجنة وهذا تحكم وتبجح كأنه هو الاله ٠ وقد سبق لجده فرعون أن ادعى الألوهية فهو يشبه جده فى ذلك ولكن الله أهلك فرعون وتوعد من يفعل مثله بالهلاك « كذلك نفعل بالمجرمين » (١) ٠

« وانه على ذلك لشهيد » الضمير عائد على الانسان وهذا أولى والله أعلم مما قاله بعض المفسرين من أن الضمير عائد على الله تعالى فكأن الآية فيها وعيد ٠ لكن الأولى أن تجعل الضمائر كلها متصلة (٢) لأن الضمير بعد ذلك فى قوله تعالى « وانه لحب الخير لشديد » عائد على الانسان ٠ فجعل الضمائر كلها على نسق واحد أولى وأظهر والله أعلم ٠

« وانه » أى الانسان « لحب الخير » أى لحب المال « لشديد » أى لقوى ٠ وهل جمع المال حرام او نقص ٠ الجواب لا ولكن المفهوم أنك ترى الانسان فى جمع المال قوى وشديد يبذل كل جهده فى جمع المال فيشتغل فى حمل الأثقال طول يومه نظير قروش ولكنه يبخل على نفسه ويكسل فى تسبيحة أو تهليلة تنفعه يوم القيامة ، فعندما يجمع المال

---

(١) آية ١٨ سورة المرسلات

(٢) المقصود يكون الضمائر متصلة انها تعود على شىء واحد ٠

PDF Compressor Pro

لينفقه في شرب الخمر أو الزنا أو فعل الموبقات تراه في غاية القوة والنشاط وعند دخول وقت الصلاة تراه في غاية الكسل وعند الصوم يبحث عن فتوى لكي لا يصوم ويقول أن لبدنك عليك حقا وهذا كذب على رسول الله ﷺ .

« أفلا يعلم اذا بعثر ما في القبور وحصل مافي الصدور ان ربهم بهم يومئذ لخبير » أيجحد الانسان نعم الله عليه ويقابل الاحسان من سيده بالاساءة منه ويشتد ويقوى عند مباشرته لحظوظ نفسه وعند جمعه للمال لانفاقه على شهواته ويتمارض ويتكاسل عن فعل الطاعات ويتجاهل أن الله تعالى سوف يحاسبه اذا بعثر مافي القبور وحصل مافي الصدور . « أفلا يعلم اذا بعثر مافي القبور » اذا ظرف متعلق بمحذوف يعني أيفعل الانسان ذلك وينسى أوامر الله وحدوده ولا يعلم أن الله سيجازيه عن الخير والشر اذا بعثر ما في القبور وحصل مافي الصدور ، ان ما في الصدور يحصله الله تعالى ويعلمه ويحاسب عليه « وان تبدوا مافي أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله » (١) « سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار » (٢) فاذا كان الناس لا يرونه وهو يفعل المنكر فان الله يراه « يستخون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم » (٣) مع أن الناس لم يحرموا المعاصي ولا يملكون جنة ولا نارا وانما الذي حرمها هو الله وهو الذي يجازي بالجنة والنار وسيحاسب الخلق على ما عملوا .

أيفعل الانسان ذلك ولا يعلم أن الله سيجازيه اذا بعثر ما في القبور وحصل ما في الصدور وسيحاسبه على الصغيرة والكبيرة وعلى الوساوس التي في نفسه وعلى كل ما يجول في خاطره ويتردد في صدره فان الله سيحصله ويظهره يوم القيامة ، فمثلا الذي خرج من بيته ليشرب الخمر وضاعت نقوده في الطريق فلم يشرب فهذا كأنه شرب الخمر وتكتب له السيئة في صحيفته . ويحاسبه الله عنها يوم القيامة اذا لم يتب في الدنيا .

الله سبحانه وتعالى خالق الخلق . « ألا يعلم من خلق وهو اللطيف

---

(١) آية ٢٨٤ سورة البقرة (٢) آية ١٠ سورة الرعد .
(٣) آية ١٠٨ سورة النساء .

PDF Compressor Pro

الخبير » (١) الله يعلم حال الانسان وتفاصيل أعماله وكل شيء عنه . « يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا » (٢) . الله هو الخبير . والخبير هو الذى يعلم دقائق الأشياء وأسرارها وهو القادر على أن يوقف كل انسان على دخائل نفسه يوم القيامة فهو الخبير بحال عبده أكثر من معرفة عبده بحاله « ان ربهم بهم يومئذ لخبير » .

وقد سألنى بعض اخوانى عن المناسبة بين المقسم به فى السورة والمقسم عليه . المقسم به خيل المجاهدين والمقسم عليه بعض أفراد جنس الانسان الكنود والجاحد . والمناسبة نشرحها ان شاء الله .

المؤمن والكافر كل منهما من نفس طينة آدم عليه السلام وليس لكل منهما أصل مستقل . فكل انسان خلقه الله وفيه استعداد للخير وللشر وليس عاجزا عن مباشرة هذا الاستعداد والا كان تكليفه عبثا وتعالى الله عن العبث . فلولا الاستعداد ما أنزل الله كتابا ولا أرسل رسولا ولا كلف أحدا بشريعته . فبعد أن أعطى الله البشر الاستعداد والآلات أرسل الله الرسل ليبينوا للخلق النموذج الذى يسيرون عليه « والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون » (٣) فكان للخلق بعض العذر لو كلفهم الله بشيء وقصروا فيه بدون أن يعطيهم الاستعداد أو يبين لهم الطريق ، ولذلك جعل الله فى الانسان استعدادا للخير واستعدادا للشر وأرسل الرسل وبين على يديهم الحلال والحرام والحدود وقال « تلك حدود الله فلا تعتدوها » (٤) . وهذا الأمر للجميع للمسلم والكافر فالكل فيه الاستعداد .

خلق الله سبحانه وتعالى الجن والانس وقال « وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون » (٥) والعبد عليه ان يقوم على خدمة سيده ومن شأنه ألا يحمل هم الطعام أو الشراب أو الانفاق على زوجه وعياله لأن سيده متكفل بكل ذلك . فلو ترك العبد خدمة سيده والتفت لمصالح نفسه فانه يكون عبد سوء . وهذا ما حصل من الجاحد الكافر بنعمة ربه والذى نسى وأهمل ما أمره به ربه وهو القائل « وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك » (٦) .

---

(١) آية ١٤ سورة الملك (٢) ٣٠ سورة آل عمران (٣) ٧٨ سورة النحل
(٤) آية ٢٢٩ سورة البقرة (٥) ٥٦ سورة الزاريات (٦) ١٣٢ سورة طه

PDF Compressor Pro

تأمل أيها المسلم أن الله خلقك لخدمته وخلق كل هذه المخلوقات لأجلك . فخلق سماء تظلك واطلع فيها النيرين لأجلك واسكن فيها الملائكة لأجلك اذ أن منهم الموكل بالوحى لأجلك ومنهم الموكل بالمطر لأجلك ومنهم الحفظة لأجلك وخلق الله الأرض لأجلك وارساها بالجبال لأجلك وأجرى فيها الأنهار لأجلك وأنبت فيها من كل زوج بهيج لأجلك وجميع المنافع فيها لأجلك فالكل لأجلك . ومع ذلك فأنت منصرف عن النظر لنعم ربك مشغول بما لا ينفعك ولذلك قال ابن عطاء الله السكندرى : (اجتهادك فيما ضمن لك وتقصيرك فيما طلب منك دليل على طمس البصيرة منك) .

واذا كانت السموات والأرض وجميع الكائنات قد أطاعت واستمعت لأمر الله فان الانسان وحده هو الذى جحد وكفر ولم يستمع . حتى الحيوان الذى خلقه الله ليكون ذلولا للانسان كالجمل تراه خاضعا مستسلما لقيادة طفل صغير لأن الله أراد له أن يكون ذلولا مع أنه فى قوته يستطيع أن يدوس الطفل بقدميه لو أراد ، فالانسان الذى خلقه الله وخلق كل شىء لأجله وأكرمه وقال فيه « ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » (١) . ومن تكريمه له أنه لم يجعله من الحيوانات التى تحمل الأثقال .

هذا الانسان خلق الله فيه الاستعداد . الكافر والمسلم لديه الاستعداد ولولا الاستعداد ما كلفه الله ولولا التكاليف ما كانت هناك جنة ولا نار .

فالتكليف للعاجز عبث والله منزه عن العبث . والتكليف من غير ثمرة تترتب عليه كمثوبة الطائع ومعاقبة العاصى عبث كذلك والله منزه عن العبث .

فلا يعقل أن من يرتكب الكبائر كالسارق والزانى والقاتل لا يجد عقابا على فعله ولا يعقل أن الشخص الطائع المستقيم المتصدق لايكون لعمله ثواب جميل .

فلو أن الموظف النشيط لم يلق جزاءه والموظف الكسول لم يلق عقابه لكان فى هذا ظلم للجميع .

---

(١) آية ٧٠ سورة الاسراء .

PDF Compressor Pro

علمنا أنه بحسب الاستعداد لا فرق بين المؤمن وبين الكافر ، لكن المؤمن أعطى واتقى وصدق بالحسنى ، أى أنه أعطى من نفسه واتقى غضب ربه وصدق أن هناك يوما ينتظره ان أحسن فله الحسنى فانجز الله له وعده في سابق علمه وهو أن من آمن وفعل الأسباب فله الجنة . وأما الكافر فانه بخل بحق الله واستغنى عن الله وكذب بالآخرة فلذلك استحق عذاب الله في الآخرة .

وقد سبق في علم الله أن جعل السعيد سعيدا والشقى شقيا . لكن من آمن وصدق سهل الله له أموره ويسر له طريقه إلى الجنة حتى في أمور الدنيا فان الله تعالى ييسر له أموره ويرضيه ويقنعه بالقليل ويعافيه في صحته وبدنه وأهله ، والعكس بالعكس .

وقد خلق الله الاستعداد في أولاد آدم جميعا فالمؤمن استعمل استعداده فيما يرضى الله فسهل الله له طريق الخير وطريق الجنة مع كونه محفوف بالمكاره . ولا بد له من تحمل هذه المكاره والصبر عليها وكما يقولون (ما فيش حلاوة من غير نار) وحلاوة الطاعات وحلاوة التجليات ولذتها لا تحصل الا بعد بذل النفس والنفيس . وأما الكافر فانه استعمل واستخدم استعداده فيما يغضب الله فكانت ثمرة عمله العذاب والعياذ بالله .

واذا كان الأمر كذلك فنعود الى المقسم به والمقسم عليه ، والعاديات ضبحا الخ ان الانسان لربه لكنود ، فنجد أن المقسم به خيل المجاهدين والمقسم عليه الانسان . فما هى الحكمة في جعل القسم بخيل المجاهدين مع أن الظاهر يقتضى أن يكون المقسم به من نوع المقسم عليه وهو الانسان كأن يقول والمجاهدين في سبيل الله أن الانسان لربه كنود ؟ الاجابة أولا نشير الى عظيم مقام المجاهدين في سبيل الله لأنه اذا كان الله قد اقسم بفرس المجاهد ليدل على أن لها منزلة عند الله فكيف براكبها ؟

وثانيا يشير من طرف خفى الى أن المؤمن المجاهد في سبيل أعلى مقاما وأرفع منزلة عند الله من أن يقرن في القسم بالجاحد الكفور . بل ان هذا الجاحد الكفور انما يناسبه ويقارنه فرس المجاهد بل هو لم يدرك فرس المجاهد في سبيل الله . ذلك لأن لها منزلة عند الله حيث استخدمت في الجهاد في سبيل الله وصرف استعدادها في سبيل الله أما الجاحد فقد

PDF Compressor Pro

أنكر وجحد ولم يصرف نعم الله عليه فيما خلقت لأجله بل استعمل جوارحه واستعداده فيما يغضب الله . والقسم هنا يشير الى قول الله تعالى « لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين » لأن الحيوان سافل والانسان الجاحد لم يدرك خيل المجاهد . فنزلت منزلة بعض أفراد الانسان عن منزلة الحيوان . والحيوان سافل فصار الكنود أسفل السافلين . ومن هنا تظهر الحكمة فى كون الحق جل وعلا عدل فى القسم بالمجاهد وأقسم بخيل المجاهد وللاشارة كما ذكرنا الى أن المجاهد ارفع منزلة من أن يقسم به على جحود الجاحد فالمجاهد شكور لربه والجاحد كنود لربه ، والمجاهد عمله الصالح يشهد له بالاستقامة والكنود عمله الطالح يشهد عليه بانه مجرم ، والمجاهد يبذل نفسه فضلا عن نفيسه لحبه فى طاعة الله ويقدم روحه فى سبيل الله والجاحد يبذل كل شىء لحبه فى المال حبا قويا يجعله منهمكا بقوة فى شهواته وملذاته المحرمة وحظوظ نفسه .

المجاهد شكر ربه على نعمه وصرف هذه النعم فيما خلقت لأجله وشكر الخلق الذين اجرى الله نعمه على أيديهم أما الجاحد الكنود فانه انكر نعم الله عليه ولكنه لا ينكر فضل الخلق عليه ولا ينكر فضل الخواجات وينسب لهم الفضل ولا يجحدهم (أخلق ويعبد غيرى وأرزق ويشكر غيرى) .

المجاهد يجاهد فى سبيل الله وفى سبيل الذود عن وطنه وعرضه وماله ودينه وأفعاله تشهد له بالصلاح والاستقامة .

ولكن الجاحد فقد أرتكب المعاصى والالحاد والبعد عن الطاعات فصارت أفعاله وحركاته وسكناته شاهدة عليه بأنه خارج عن طاعة الله .

المجاهد قوى فى الطاعات بسبب حبه لربه وحبه لما يقربه لربه فحب الله استولى على قلبه فجعله قويا فى الطاعة قويا فى الجهاد كما قال فيه الحق (أشداء على الكفار رحماء بينهم) (١) أما الجاحد فهو قوى فى المعاصى وشرب الخمر والشهوات بسبب حبه الشديد للمال الذى يستعين به على المنكرات (وانه لحب الخير لشديد) .

ومن ذلك تظهر المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه وظهرت المناسبة فى الصفات وتعددها والله أعلم .

---

(١) آية ٢٩ سورة الفتح

PDF Compressor Pro

الدرس السادس عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

« انا اعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ان شانئك هو الابتر »

مناسبة هذه السورة لما قبلها :

السورة السابقة « ارأيت الذى يكذب بالدين » (١) تضمنت وعيدا شديدا لمن سها عن الصلاة وان صلى راءى فى صلاته والذى يمنع الشيء التافه عن المحتاجين . ومن ضيع الصلاة كان لغيرها أضيع ومن منع التافه كان لغيره امنع . فقد توعد الله بالوعيد الشديد وبالويل والهلاك والثبور من ضيع حقوق الله وحقوق العباد . وهذا متشوف الجحود بالله سبحانه وتعالى وعدم القيام بواجب الشكر لله على نعمه . فصار معنى الآية ويل وهلاك شديد للجاحدين المكذبين الذين ضيعوا حقوق الله فى الصلاة وتشاغلوا عنها وان أدوها أدوها رياء وسمعة ومنعوا القليل التافه عن ـ عباد الله ـ المحتاجين له .

والسورة التى معنا مقابل لهذه السورة : فيكون المعنى ويل شديد لمن أعطاه الله ولم يشكر فأضاع الصلاة ومنع حقوق العباد فانا قد أعطيناك الكوثر وأعطيناك خيرا كثيرا فاشكر لربك وصل لربك وانحر . ومن هنا تتضح المناسبة .

« انا أعطيناك الكوثر » المتكلم رب الأرباب والمخاطب سيد المرسلين ﷺ « انا » بجلالتنا وعظمتنا بقدسنا وكبريائنا باحساننا وفضلنا « أعطيناك » فانظر قيمة العطاء من ملك الملوك الى سيد المرسلين . أنظر الى عطاء الملوك « الكوثر » أحسن مايفسر به ما روى عن ابن عباس رضى الله عنه . فقد فسر بعض المفسرين الكوثر بأنه نهر فى الجنة أو بأنه الأمة أو القرآن أو الشفاعة ولكن ابن عباس فسره بالخير الكثير ولما سمعه سعيد بن جبير قال له انما يقولون انه نهر فى الجنة فقال ابن عباس النهر من الخير الكثير .

---

(١) أول سورة الماعون .

PDF Compressor Pro

« انا أعطيناك الكوثر » انا أعطيناك واصطفيناك للنبوة والرسالة، وجعلناك خاتم الأنبياء وجعلناك شاهدا على كل الأمم ولا يشهد عليك أحد ·

انا أعطيناك ورفعنا لك ذكرك فلا يقبل الاسلام من أحد الا اذا شهد لك بالرسالة ·

انا أعطيناك الشفاعة فما تشفعت لأحد الا شفعك الله فيه ·

انا أعطيناك الشفاعة يوم القيامة يوم تذهل كل مرضعة عما أرضعت ويذهل كل الناس ويتخلى جميع الأنبياء عن الشفاعة حين يجيئهم الناس مستشفعين ولكنهم حين يجيئون اليك تقول أنا لها أنا لها فيقال لك يا رسول الله سل تعط واشفع تشفع ·

انا أعطيناك الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة وهي كالشمس في كبد السماء ·

انا حرمنا الجنة على الخلق حتى تدخلها فلن يدخلها أحد قبلك ·

انا أعطيناك كتابا هو أعظم الكتب وأنت الأمي ومنحناك ما لم يمنح لغيرك ·

أعطيناك وجعلنا نسلك عديدين وهم بركة الدنيا ومصابيح الجنة وكلهم من بنت واحدة ·

« انا أعطيناك الكوثر » تفضلنا عليك وأعطيناك مالم يعط لأحد غيرك واكرمناك كرامة ما نالها أحد سواك ·

هذا عطاء جزيل والعطاء يحتاج لشكر · والنبي ﷺ كان يصلي ويبكي وسأله سيدنا بلال اتبكي يا رسول الله وقد غفر الله لك ماتقدم من ذنبك وما تأخر قال ﷺ افلا اكون عبدا شكورا · فهو ﷺ يعلم نعم الله الجزيلة التي منحها الله له وتفضل بها عليه ويعلم أن كل ذلك يحتاج للشكر فهو يبكي في صلاته شكرا لله على نعمه ·

PDF Compressor Pro

ولذلك كان البلاء على قدر العطاء ويقول بعضهم الهموم على قدر الهمم . لذلك كان أقل الناس هما المجانين والأطفال . والمعروف أن العظم على قدر اللحم فان اشتريت رطلا من اللحم اخذت منه ربع رطل من العظم وان اشتريت قنطارا من اللحم اخذت منه عشرة أرطال من العظم . وقد روى « اشدكم بلاء الأنبياء ثم الأولياء ثم الأمثل فالأمثل) وكل منهم له من عظم البلايا قدر ماينال من لحم العطايا .

وقد رأى سيد المرسلين ﷺ من البلايا الشيء الكثير فقد هم قومه بقتله وقذفوه بالحجارة حتى ادموا قدميه واخرجوه من بلده وحاربوه وحفروا له حفرة في غزوة أحد فوقع فيها حتى شج وجهه وكسرت رباعيته ووضعوا التجاسة على ظهره الشريف والحقوا به انواع الأذى حتى كان يأتيه ملك الجبال ويقول له ان الله أرسلني فلو شئت لأطبقت عليهم الأخشبين أى الجبلين ولكنه ﷺ كان يقول اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون .

« انا أعطيناك الكوثر » انا أعطيناك الخير الكثير . والشكر يستدعي أن تقوم بحق الله وبحق العباد . وحق الله أن تقوم بالصلاة شكرا لله . وحق العباد أن تطعم الفقير . « فصل لربك وانحر » وخص النحر لأن الفقراء قلما يأكلون اللحم اذن فليكن في مالك نصيب للمحرومين .

ومن حافظ على الصلاة كان لغيرها احفظ ومن شكر الله فيها كان في غيرها أشكر ومن تكرم باللحم على الفقراء كان تكرمه بغيره أولى .

« انا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ان شانئك هو الأبتر »

لم يكن لأحد من المخلوقين منة على النبي ﷺ حتى أبوه فانه توفى والنبي ﷺ طفل حتى لاتكون له عليه منة . والسيدة خديجة رضى الله عنها ليست لها منة عليه ﷺ بل هو صاحب الفضل وصاحب المنة عليها ومن قال غير ذلك فقد جانبه الصواب .

« انا » بجلالنا « اعطيناك » نحن الذين أعطيناك ولم يكن لأحد عليك منة . « أعطيناك الكوثر » وتفضلنا عليك ومنحناك خيرا كثيرا في الدنيا والآخرة حسا ومعنى وهذا العطاء لم يعط مثله لأحد غيرك

PDF Compressor Pro

جعلناك خاتم النبيين ولم يكن ذاك لأحد وحتى تكون شاهدا على غيرك ولا يشهد عليك احد وحتى تكون شريعتك ناسخة لشريعة غيرك ولا ينسخ شريعتك احد .

ورفعنا لك ذكرك فاسمك مقرون باسم ربك ، والأذان للصلاة لايصح بغير ذكرك وشهادة الاسلام لا تنفع الا بذكر اسمك مع ذكر ربك .

وأبواب الجنة لا تفتح الا بك فانت فاتح أبواب الجنة ولك الدرجة الرفيعة التى لا تكون الا لك ، وجعلنا أمتك صدورهم أناجيلهم وليس هذا لأحد غيرك .

وأنزلنا عليك القرآن العظيم فيه بيان لكل شيء يفرق بين الحق والباطل . بلسان عربى مبين « لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد » (١) وتكلفنا بحفظه الى يوم القيامة وجعلناه ميسرا فى الذكر « ولقد يسرنا القرآن للذكر » (٢) وفهمه ميسر حتى للعوام فلو كان قارىء القرآن يحسن الوقف عند المواقف فان المستمع يفهمه حتى وان كان من العوام .

ونصرناك بالرعب ولم يكن ذلك لأحد غيرك . وقد فهم ذلك أبو بكر الصديق رضى الله عنه وفهم اكثر منه لأنه فى احدى الغزوات بالغ النبى ﷺ بالدعاء الى الله سبحانه وتعالى ورفع يديه حتى ظهر بياض ابطيه ﷺ فقال له أبو بكر الصديق رضى الله عنه ما معناه هون عليك يا رسول الله فلو كنت وحدك لنصرك الله .

وجعلنا لك الأرض مسجدا ولم يكن ذلك لأحد غيرك .

وجعلنا لك ولأمتك الأرض طهورا فاذا فقدت الماء تطهرت بالتراب ولم يكن ذلك لأحد غيرك .

وشرعنا لك الطهارة بالماء فاذا تنجس الثوب تزال النجاسة بالماء وكان فى شريعة بعض الأمم السابقة أن النجاسة لا تزال الا اذا كشط الجلد النجس أو قطع الثوب النجس .

---

(١) آية ٤٢ سورة فصلت (٢) آية ١٧ سورة القمر .

PDF Compressor Pro

وأحللنا لك الغنائم فى الحرب ولم يكن ذلك لأحد غيرك ٠

« انا أعطيناك الكوثر » صلوات الله وسلامه عليك يارسول الله ٠

يقول الحق جل جلاله « انا أعطيناك » بعض العلماء يئول الآية بأن المقصود انا قضينا لك بذلك وهذا التأويل جاء ردا على اعتراض وهو أن الله تعالى قال له ﷺ فى سورة الضحى « ولسوف يعطيك ربك فترضى » لذلك لجأ المفسرون الى الجمع بين الآيتين بتفسير قوله « انا أعطيناك » أى قضينا لك فى الدنيا وقوله « ولسوف يعطيك » أى ستعطيك فى الآخرة ٠

وهذا التأويل لا داعى له والله أعلم اذ أن الله تعالى أعطى النبى ﷺ فى الدنيا عطاء جزيلا وفى الآخرة عطاء أعظم يفوق العد والحصر ٠

والخلاصة أن المعنى هو أننا تفضلنا عليك ولم نجعل لمخلوق عليك منة ومنحناك سعادة الدارين وأجزلنا لك من العطاء مالم نعطه لأحد غيرك ولن نعطيه لأحد غيرك ٠ وهذه نعمة عظمى تحتاج للشكر ، وأنت شاكر ، فدم على ذلك ودم على الشكر وهذا لا يتحقق الا بالقيام بحق الخالق الممثل فى الصلاة وحق المخلوق الممثل فى اطعام الطعام ، افعل ذلك لتسن لأمتك أن شكر المنعم على انعامه واجب ولا يتأتى ذلك الا بالقيام بحق الخالق والمخلوق وضرب الله مثلا لحق الخالق بالصلاة ولحق المخلوق باطعام الطعام وهذا قوله سبحانه وتعالى (انا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر » ٠ أى داوم على صلاتك صلاة مطلقة والمراد عبادة الله لا خصوص الصلاة لأنها لما كانت أهم أركان الدين بعد الشهادتين خصها بالذكر ، ولما كان اطعام الطعام فيه خير كثير وكان افضل الطعام اللحم لذلك خصه أيضا بالذكر ٠ واذا كان الانسان محافظا على الصلاة كان لغيرها أحفظ ومن أطعم اللحم كان لغيره أكثر اطعاما ٠

والمقصود بالصلاة طبعا الصلاة الحقيقية التى تكون بالقلب لا بالجسم فقط والتى تنهى عن الفحشاء والمنكر « ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر » والتى تجعل المصلى ينتهى عن فعل المعاصى واذا حدث ووقع فيها كانت كالبرق اللامع ودخل فى قول الله تعالى « ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون » (١) لأن المؤمن

---

(١) آية ٢٠١ سورة الأعراف ٠

PDF Compressor Pro

ليس معصوما فقد تأتيه بعض الخواطر من الشيطان فمثلا تراه قد يركن الى صديقه أو يفرح بقلبه بابنه البار أو يفرح بزوجته . وهذا الركون او الفرح القلبى يجعل القلب يغفل وينعس ولكن لكون هذا النوم نوما خفيفا فانه ينتبه منه حالا ولا يتمكن الشيطان من دخول قلبه ولا يستطيع أن يسرق من قلبه شيئا من حلاوة الايمان والعقيدة . ولذلك تراه يدرك ان قلبه قد نعس وغفل فيسرع بالاستغفار من غفلته ويذكر ربه فيهرب الشيطان واذا هو من المبصرين .

نجد كثيرا من الناس فى بيان أحوال العقيدة وتقريرها وشرحها باللسان نجده عالما لا يبارى . ولكن اذا اختبرته فى التطبيق تجده طفلا صغيرا . فمثلا اذا رأى صديقا له وقع فى شدة تراه يذكر له الآيات والأحاديث والحكم والنصائح ومنها قوله كل ما يصدر من الجميل جميل . وكل شيء من المقادير . الى غير ذلك . واذا وقع هو فى شدة او ورطة تراه نسى كل شيء من هذا الكلام ويكاد أن يكفر لاعتقاده فى أن الأسباب التى فقدها هى التى أدت الى وقوعه فى هذه الورطة والى فقدانه المسبب .

لكن أنظر الى أحوال العارفين يقول أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه (يئست من نفع نفسى لنفسى فكيف لا أيأس من نفع غيرى لها ، ورجوت الله لغيرى فكيف لا أرجوه لنفسى) أى انه اذا جاءك أى أذى ولو من برغوث ولو كنت القطب الغوث فسوف يؤذيك ولا تنفع القطبانية لأن القطب الغوث مقهور والقهار هو الله تعالى فاذا كنت لا تستطيع انقاذ نفسك من أذى البرغوث وتيأس من نفع نفسك لنفسك لأن الله تعالى أعجزك عن ذلك فكيف لا تيأس من نفع الغير لها . كيف تترك ربك القادر وتعتمد على غيره العاجز .

وآخر يدعو للناس ويسأل الله لهم أن يفرج الكرب عنهم ولكن اذا وقع فى كرب وضيق نسى ربه ولم يسأله لنفسه .

« انا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ان شانئك هو الأبتر » انا أعطيناك الخير الكثير ومن الخير الكثير انا اصطفيناك حبيبا . أعطيناك المحبة فأنت الحبيب المحبوب ولأجل عين تكرم آلاف العيون

PDF Compressor Pro

المصطفى ﷺ حبيب الله ولقد أخبره في ليلة الاسراء بذلك بقوله « واتخذتك حبيبا » والنبى ﷺ قال (أنا حبيب الله والمصلى على حبيبى فمن أراد أن يكون حبيبا للحبيب فليكثر من الصلاة على الحبيب) « قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله » (١) « من يطع الرسول فقد أطاع الله » (٢) من أحبك أحبه الله ومن عاداك أبغضه الله .

« ان شانئك هو الأبتر » . الأبتر أى المقطوع قيل مثلا من مات ولم يترك ابنا ذكرا . أو لم يترك الأثر الحسن أى المقطوع منه شيء .

قيل فى سبب النزول أن العاص بن وائل كان واقفا بباب المسجد يتحدث مع النبى ﷺ . فلما دخل النبى ﷺ المسجد سأله الكفار مع من كنت تتحدث قال مع الأبتر يقصد النبى ﷺ الذى مات ابنه الذكر ابراهيم فيكون ليس له ولد ذكر بعد موت ابراهيم .

تأمل دفاع الحق جل جلاله عن حبيبه ﷺ « ان شانئك هو الأبتر » ان من يبغض الرسول ﷺ هو المبغض لله والمحب لرسول الله هو المحب لله والمحبوب له الرسول أعطى خيرا كثيرا فهو ليس أبتر فهو أغنى الناس وهو وان لم يترك ولدا ذكرا فقد ترك بنتا هى السيدة فاطمة الزهراء رضى الله عنها وذريته منها أكثر الذريات وهم بركة الدنيا ومصابيح الجنة . وقد قال الحق جل جلاله « النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم » (٣) فأبوة النبى ﷺ الروحية شملت جميع المؤمنين بل هو أب الخلق قاطبة مؤمنين وغيرهم وقد ورد فى الحديث ان آدم عليه السلام قال للنبى ﷺ (مرحبا بابن صورتى وأب معناى) فهو ﷺ أب لجميع وأب للملائكة وأب للحور والولدان . فهل هذا أبتر ؟

الذى يذكر على كل لسان فى كل متذنة ومنبر ومسجد وفى كل صلاة هل هو أبتر ؟

والذى ترك ذرية وعلماء كأنبياء بنى اسرائيل هل هو أبتر ؟

أجاب الحق بقوله كلا « ان شانئك » ومبغضك « هو الأبتر » — والله أعلم .

---

(١) آية ٣١ آل عمران . (٢) آية ٨٠ سورة النساء .

(٣) آية ٦ سورة الأحزاب .

PDF Compressor Pro

الدرس السابع عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

« اذا جاء نصر الله والفتح ، ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا ، فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا »

الخطاب للنبى ﷺ كسائر القرآن الكريم الا ما وجه فيه الخطاب للمكلفين كقوله مثلا « أقيموا الصلاة » أى قل لأمتك يقيموا الصلاة فهو مقدر فيه القول ، والخطاب فى هذه السورة الكريمة للنبى ﷺ والمقصود هو وأمته ، والمقصود بالنصر مطلق النصر أى اذا جاءت معونة الله تعالى وفتح الله عليكم البلاد ودخل الناس فى دين الله أفواجا وجماعات بعد أن كانوا يدخلون فرادى واحدا واحدا أو اثنين اثنين فاياكم أن تنسوا مسبب الأسباب أو أن تنسبوا التأثير للأسباب فتخسروا فى الدنيا والآخرة . واعلموا أن الأسباب والآلات تستعمل امتثالا لأمر الله تعالى لكن الفاعل هو الله وحده وهو القائل « وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى » (١) « قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم » (٢) فالمعذب هو الله « ويخزهم » أى الله هو الفاعل « وينصركم عليهم » أى أن الله هو الناصر . وهذا كله يؤكد أن الفاعل هو الله وحده وان التأثير لله وحده وليس للأسباب أو الآلات . ولكن الله تعالى أمر بالجهاد وفعل الأسباب ليثيب قوما ويعاقب آخرين . وقد ضرب الله فى القرآن الكريم أمثالا لذلك (٣) بقوله تعالى « ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا » (٤) وفى يوم بدر قال « ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة » (٥) اذن النصر من عند الله وحده . ولما كان الأساس هو نصرة دين الله ونصر دين الله يحتاج لمقابلة العدو بالآلات والمعدات المماثلة لما عنده لذلك وجب الجهاد فى سبيل الله واستعمال هذه الآلات والله تعالى هو الناصر .

---

(١) آية ١٧ سورة الأنفال . (٢) آية ١٤ سورة التوبة .
(٣) أى مثالا يوضح أن التأثير لله وحده وأن الاسباب وان كان مأمور بها الا انه لا تأثير لها راجع دروس سورة اقرأ من هذا الكتاب .
(٤) آية ٢٥ سورة التوبة . (٥) آية ١٢٣ سورة آل عمران .

PDF Compressor Pro

« اذا جاء نصر الله والفتح » اذا جاءك يا محمد أنت وأصحابك وأمتك من بعدك . « اذا جاء » هل كان النصر غائبا ؟ نعم كان غيبيا والأشياء كلها في علم الله سبحانه وتعالى والمقرر من الله جل جلاله كالحاصل فعلا ومثال ذلك أن الأمور التي تدرج في ميزانية الدولة الدولة تعتبر كأنها حاصلة اذ أنها تنتظر الوقت فقط فمن باب أولى ما قضاه الله تعالى في سابق علمه فالله سبحانه وتعالى قضى بالنصر للمؤمنين ووعدهم به ووعده لا يخلف . قال تعالى « وكان حقا علينا نصر المؤمنين » (١) « انا لننصر رسلنا » فالنصر مقرر فاذا جاء وقته وتحققت شروطه حصل ولابد ، وان تأخر كان سبب التأخير وجود مانع او تخلف شرط او عدم مجيء الوقت . فاذا كان الله قد وعد المؤمن بالنصر فيجب لكي يحصل النصر أن تتوفر في الشخص شروط الايمان وحلول الأوان . « اذا جاء نصر الله » النصر مقدر ومقرر فكان الله يبشر بالنصر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ومن شارك النبي ﷺ واصحابه في صفاتهم الى يوم القيامة ، في الآية الكريمة « انا لننصر رسلنا والذين آمنوا » (٢) لو اقتصر الأمر على مفهوم هذة الآية الكريمة وحدها لكان في ذلك تيئيس للمؤمنين الذين يجيئون بعدهم ، لأن قوله تعالى « والذين آمنوا » (٣) قد يفهم منه ان المعية تقتضي ذلك الفهم ، ولذلك قال الله تعالى في آية أخرى « وكان حقا علينا نصر المؤمنين » فافادت هذه الآية أن المؤمنين الذين يشاركون النبي ﷺ واصحابه في صفاتهم داخلون في هذه البشرى .

فكذلك قول الله تعالى هنا « اذا جاء نصر الله والفتح » أي للنبي ﷺ واصحابه ولمن جاء بعده من المؤمنين .

هل المقصود بالنصر هنا هو النصر على العدو المحارب فقط ؟ والاجابة أن المقصود بالنصر ليس قاصرا على ذلك فقط بل هو يشمل النصر المطلق فيشمل نصر الانسان على نفسه وعلى شيطانه وعلى شياطين الانس والجن ونصره على شهوات البطن والفرج وعلى جميع أعدائه .

---

(١) آية ٤٧ سورة الروم . (٢) آية ٥١ سورة غافر .
(٣) وذلك اذا فهمت الواو للمعية .

PDF Compressor Pro

وهل المقصود بالفتح هنا هو فتح مكة فقط ؟ والاجابة أن المقصود بالفتح هو الفتح المطلق . فلو دخل انسان بلدة أهلها كفار أو تاركو صلاة وظل معهم ينصحهم ويرشدهم حتى دخلوا فى الاسلام أو أقاموا الصلاة وشعائر الدين فهذا فتح من الله .

وكذلك الفتح يشمل الهداية على يديك أو توبة العاصى على يديك ، أو ارشاد المتعلمين على يديك ، أو نور البصيرة يمنحه الله لمن يشاء ، أو اقامة شعائر الدين بعد ضياعها أو حفظها بعد نسيانها وأهمالها، أو الهدى بعد الضلال .

فالمراد بالفتح كل ما يشمله معنى الفتح حسا ومعنى .

اذا نصرك الله على عدوك الحسى وعدوك المعنوى وجاء النصر بمجىء وقته واستيفاء شروطه فسبح بحمد ربك . أما اذا تأخر النصر فلا تيأس من رحمة الله ولا تتهم ربك جل وعلا بخلف الوعد . فانه وعدك بالنصر متى استوفيت الشروط وجاء الوقت فاذا لم يحصل النصر فهو دليل على عدم استيفاء الشروط أو عدم حلول الأوان . واذا شاء الله أن تطلع الشمس فى الساعة الخامسة صباحا مثلا فلو اجتمع الانس والجن على أن يطلعوها قبل ذلك بدقائق ما استطاعوا فكذلك شمس العز وشمس الصحة وشمس السعادة وشمس المعرفة وشمس الوظيفة وشمس المطلوب كله لا تطلع الا اذا جاء موعد شروقها .

« اذا جاء نصرالله والفتح » عمم(١) مطلق النصر وعمم مطلق الفتح . أى اذا جاء نصر الله وفتحه ودخل الناس فى دين الله أفواجا اما بايمانهم بالله ورسوله واما بهدايتهم وتمسكهم بالدين بعد اهماله ، أو باقامتهم للحدود بعد تركها . اذا رأيت ذلك ورأيت جمعا من الناس فى بلد أو فى شارع أو فى عائلة قد أسلموا واهتدوا فهذا فتح كفتح مكة سواء بسواء . وهذه الأمور كلها شرع الله تعالى لها أسبابا كغيرها من الأمور .

« اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك واستغفره » معاذ الله أن يكون قد حصل أو قد يحصل

---

(١) يعنى أى نصر تحقق أو فتح من الله به عليك فهو داخل فى هذا الخطاب العام .

PDF Compressor Pro

تقصير من النبي ﷺ حتى يستغفر منه ، وكما سبق بيانه فان هذا الخطاب هو مما أريد به النبي ﷺ وأمته ، الى قوله فسبح بحمد ربك وأما الاستغفار فالمخاطب هو النبي ﷺ والمقصود الأمة ، فيكون المعنى والله أعلم بلغ أمتك انه اذا حصل وجاء نصر الله وجاء الفتح وحصلت النعم الجزيلة بأن نصركم الله على عدوكم وبأن نصر الشخص على نفسه ونصره على شيطانه وفتح الله عين بصيرته أو سخر له قلوب العباد فامتثلوا أمره وأطاعوه واطاعوا الله واهتدوا على يديه اذا حصل هذا فاعلموا أن الأسباب لا تشارك الله في التأثير ونزهوا الله عن ذلك وضموا للتنزيه الحمد والثناء على الله فسبحوا بحمد ربكم . واعلموا أن القلوب قد تركن للأسباب أو تعجب بظاهر الأسباب وهذا يعتبر ذنبا في حق كل المؤمنين فعليهم أن يستغفروا ربهم من هذا الذنب . واعلموا أن الله تعالى يغفر هذا التقصير بل هو يغفر ماهو أكثر من ذلك . فالله يغفر للكافر اذا اسلم « انه كان توابا » شان ربك منذ القدم انه تواب وأنه لا ييئس أحدا منه مهما كانت ذنوبه اذا استغفر وتاب فشأنه جل جلاله انه كان توابا .

وخلاصة المعنى اذا جاء نصر الله في أي وقت كان ومن أي نوع كان وجاء فتح الله في أي وقت كان ومن أي نوع كان فكل هذا نعم من الله سبحانه وتعالى . وهذه النعم قد تاتي مقترنة بأسبابها عند مزاولة هذه الأسباب ، فمجيء هذه النعم نعمة والتوفيق للاسباب نعمة . ولكن اقترانها بالأسباب قد يوهم دخلا للأسباب في التأثير وقد يبعث على الركون لهذه الأسباب اذن فسبح بحمد ربك واشكر ربك وقل لأمتك يستغفرون ربهم فالمخاطب هو النبي ﷺ والمقصود الأمة .

فالأمة هم المقصودون بالاستغفار . فالكامل منهم يستغفر من « خلاف الأولى » وغيره يستغفر من المكروه وغيره يستغفر من المحرمات ، وكل انسان يجب أن يدخل ضمن من نص عليهم الحق جل جلاله أنهم من المحبوبين . فلم يقل الحق ان الله يحب المصلين أو يحب المزكين بل قال « ان الله يحب التوابين » لذلك ترى الكمل يتوبون الى الله كثيرا وهو ما أشار اليه النبي ﷺ في قوله « انى لاستغفر الله في اليوم مائة مرة أو سبعين مرة » ولكن الذي يستنكف عن الاستغفار وعن التوبة فهو داخل

PDF Compressor Pro

فى قول الله تعالى « واذا قيل له اتق الله اخذته العزة بالاثم » (١) . واما النبى ﷺ فهو معصوم وعصمه الله تعالى واصطفاه وطهره ونقاه قبل خلق الخلق .

وبهذا التقرير ندفع اشكالات كثيرة .

لو تاملت رايت هذا المعنى هو ما اشار اليه النبى ﷺ لما دخل مكة فى العاشر من رمضان فى السنة الثامنة من الهجرة . فلما فتح له باب الكعبة فدخلها وصلى الضحى ثماني ركعات ثم استقبل الباب وقال لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده وفى رواية وعز جنده . وبهذا الحديث بين النبى ﷺ المراد من السورة الكريمة . فقوله ﷺ لا اله الا الله هو معنى قول الله تعالى فسبح بحمد ربك اى أن المعنى لا اله الا الله لا معين الا الله ولا ناصر الا الله ولا موفق الا الله ولا مسدى للنعم الا الله ولا خاذل للكفر الا الله . فالله وحده صدق وعده ونصر عبده فانا عبده وغاية الأمر ان الله اكرمنى فالفعل لله وحده فلا اله الا الله وحده فى الذات والصفات والأفعال فهو سبحانه وتعالى منزه عن كل نقص ولا فعل لغيره وانما هى امور اجراها الله على يدى فصدق الله وعده ونصر عبده وما السيوف والآلات والرماح الا أسباب فقط ولكن النصر من عند الله تعالى فهو الذى هزم الأحزاب وحده .

وان كان الله قد اجرى على ايدينا اسباب النصر على الأعداء فذلك ليكتب لنا الثواب ويعطينا مقام الشهادة لمن يستشهد ويعطينا ما يشاء من الغنائم فى الدنيا مع الثواب فى الآخرة .

فقوله ﷺ تفسير لقول الله تعالى « اذا جاء نصر الله والفتح الى آخر السورة » فتلاقى الحديث والسورة فى المعنى والله أعلم .

---

(١) آية ٢٠٦ البقرة .

PDF Compressor Pro

الدرس الثـــامن عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

« قل هـو الله أحـــد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفـوا أحد »

سورة الاخلاص لها أسـماء كثيرة منهـا هـذا الاسم لأن من قرأها بتـدبر وفهم معنـاها رزقـه الله الاخلاص وحفظ قلبـه من الشرك الخفى والجلى . وتسمى المنجية لأن من واظب عليهـا وقرأها باخلاص رزقه الله النجـاة من فتنـة القبر وضمته وهول الموقف ونجاه من عذاب الدنيـا والآخرة . وقـد ورد فى فضيـل قراءتهـا أقوال كثيرة وكل ما ورد فى فضلها وفى فضـل قراءتهـا وان من قرأها كذا أعطى كذا وكذا كله شرطه الاخلاص « وما أمروا الا ليعبـدوا الله مخلصـين له الدين » (١) فاياك أن تأخـذ العبـارات المأثورة من الأقوال التى وردت على علاتهـا فتكون ضـالا لأن الشرط هو الاخلاص والطهـارة وخصوصا حقوق العباد لأن حقوق العباد لا يضيعها شىء (٢) .

ومن هنا كذلك ما ورد من فضـل قراءة يس وأن من قرأها كذا أعطى كذا ورزق كذا . فهـذا كله شرطه الاخلاص . والأمر واضح لأن الله تعالى قال « اليه يصـعد الـكلم الطيب والعمل الصـالح يرفعـه » (٣) فلو رأيت أو سمعت أو قرأت عبـارة من عبـارات الصـالحين مروية عن الصـالحين أو عن الخضر عليه السلام أو حتى عن رب العزة جل جلاله فاعلم أن شرط القبول هو الاخلاص . ولو قرئت من غير اخـلاص لا يقبـل لأن الله طيب لا يقبل الا الطيب . كمـا لا تقبل القراءة كذا وكذا من أجل أكلة أو من أجل سبب دنيوى تافه .

ما سبب نزولها وما هى المناسبة بينها وبين السورة التى قبلها ؟

---

(١) آية ٥ سـورة البينـة .
(٢) أى لا يمحوها من صحيفة العبد شىء من القراءة فلا تسقط الا بالأداء أو الابراء والتوبة .
(٣) آية ١٠ سورة فاطر .

PDF Compressor Pro

السورة التي قبلها (تبت يدا أبي لهب وتب) والمناسبة جلية جدا ولها جملة فوائد . فقد تضمن شرح هذه السورة أن النبي ﷺ لما نزلت عليه آية « وأنذر عشيرتك الأقربين » نفذ هذا الأمر الالهي ونادى في الناس يا بني فلان ويا بني فلان ويلغهم رسالة ربه ولم ينتظر حتى يكثر المسلمون المؤيدون له بل سارع في تنفيذ الأمر . فقام أقرب الناس اليه عمه أبو لهب شقيق أبيه عبد الله بن عبد المطلب وشتمه قائلا (الهذا دعوتنا تبا لك) !.

يعني وكما هو حاصل الآن اذا لم تكن الدعوة من اجل أكلة فانها تكون دعوة لا قيمة (١) لها واذا لم تكن الدعوة من أجل الحصول على مال فانها تكون دعوة لا قيمة لها ، ولماذا الشتم والسباب والرسول ﷺ لم يسب أبا لهب ولم يشتمه وانما كان يبلغ رسالة ربه ويدعوهم بأمر الله ليخرجهم من الظلمات الى النور . والرسول ﷺ عف اللسان لم يقابل الاساءة بالاساءة في هذا المقام الذي يثير غضب الحليم . ولكنه ﷺ ترك الأمر كله لله ولذلك تولى الله سبحانه وتعالى الدفاع عن رسوله وقال « تبت يدا أبي لهب وتب » .

فأخذنا من ذلك أن من يستسلم لله حقيقة يتولى الله الدفاع عنه « ان الله يدافع عن الذين آمنوا » (٢) والمعنى اذا نفذت ما أمرك الله به فسلم أمرك لله ولا تشغل نفسك بأمر عدوك . فمن كان مع الله سبحانه وتعالى بقلبه وشغله شهود الحق عن السوى وعن الغير وشغله توحيد الحق والاستغراق فيه حتى أيقن أن الحركة والسكون بيد الله وأن لسان من يسبه او يشتمه في قبضة الحق فلو شاء الا ينطق ما نطق بالسباب ولو شاء أن يسكته لأسكته فهذا الشخص بعد أن نفذ ما أمره الله به فان الله يتولى الدفاع عنه فمن كان مع الله سبب الأسباب عامله الله كما عامل حبيبه ﷺ ودافع عنه . ويناسب في هذا الموضع قول الله جل جلاله « قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون » (٣) . فالرسول ﷺ سبه

---

(١) يعني أن الدعوة لا تكون في نظر الناس ذات قيمة مالم يكن وراءها نفع مادي أو جمع مال اما اذا كانت الدعوة الى الله فلا قيمة لها عند كثير من الناس نسأل الله السلامة .

(٢) آية ٣٨ سورة الحج .

(٣) آية ٩١ سورة الأنعام .

PDF Compressor Pro

أبو لهب وقال له تبت يداك وهذا القول لا شك يؤثر فى رسول الله ﷺ فهو بشر يغضب . والحق جل جلاله يغضب على من عصاه وقد خلق النار ليعاقب العصاة ويعذب المخالفين ولكنه حليم والحليم هو الذى لا يعجل بالعقوبة على من عصاه . فالرسول ﷺ يغضب والذى لا يغضب ولا تأخذه الغيرة والنخوة عند اهانته أو اهانة عرضه وماله ووطنه فهو جماد ، والمؤمن لا يقبل الاهانة لأن المؤمن عزيز « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » (١) فلابد أن يتحرك المؤمن محافظة على كرامته وعلى عزته .

فالرسول ﷺ فعل ما أمره الله تعالى به ونفذه ثم سلم أمره بعد ذلك لله لذلك دافع الله سبحانه وتعالى بنفسه عن نبيه قائلا « تبت يدا أبى لهب وتب ، ما أغنى عنه ماله وما كسب » الى آخر السورة ولذلك قلنا ان هذه السورة الكريمة تطابق فى المعنى قول الله تعالى « قل الله ، ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون » .

ولذلك نقول والله أعلم فى الجمع بين السورتين سورة أبى لهب وسورة الاخلاص ان التوحيد يجمع بينهما .

وبهذه المناسبة لا مانع من ان نذكر طرفا مما وقع الناس فيه من خطأ : ترى كثيرا من الناس يردد قول الله تعالى « قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون » عند كل مناسبة ولكن تأمل فان الله سبحانه وتعالى أمر رسوله الكريم بقوله « وأنذر عشيرتك الأقربين » فنفذ الرسول ﷺ ما أمره الله به وأنذر قومه وأخذ فى الأسباب وفعل كل الأسباب التى أمر بها ثم بعد ذلك لما سلم أمره لله تولى الله الدفاع عنه لذلك ينبغى عليك أيها المسلم وينبغى عليك أيها العالم وارث الرسول أن تؤدى ما عليك وأن تبلغ ما كلفت به وأن تفعل ما أمرت به فان فعلت فسلم أمرك لله « وقل الله » ولا تشتغل بعد ذلك بعصيان العاصى وجحوده لفضلك لأنه كفر بالله وجحد نعمته ولا تشتغل بهم الخلق واتركهم وذرهم فى خوضهم يلعبون لأن انشغالك بهم يعطلك عن ربك ، وكما قلنا من اشتغل بالله وأشرب قلبه التوحيد تولى الله حراسته وحفظه والدفاع عنه كما نشير لذلك الآية الكريمة « تبت يدا أبى لهب » مع مقارنة ذلك بالتوحيد فى سورة الاخلاص .

---

(١) آية ٨ سورة المنافقون .

PDF Compressor Pro

وكما قلنا فان التوحيد فى السورتين يجمع بينهما ويبين المناسبة بين السورتين ومن تأمل ربما وجد كثيرا من هذا القبيل .

ظهرت المناسبة بين سورة الاخلاص والسورة التى قبلها .

أما سبب النزول فقد ورد أن الكفار من قريش أو من غيرهم سألوا الرسول ﷺ واختلف فى صيغة السؤال هل هو صف لنا ربك أو انسب لنا ربك أو ما وصف ربك ؟ ويعنون بذلك أن الهتهم كانت من ذهب أو جوهر أو غير ذلك فهل ربك كذلك ؟

يقضى على المرء فى أيام محنته حتى يرى حسنا ماليس بالحسن

روى أن سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يقول لنفسه بعد أن أسلم أين كان عقلك يا عمر حين كنت تسجد لحجر من دون الله ، فعند المحنة والعياذ بالله يسلب منصاحب العقل عقله بل تنعكس عليه (١) حقائق الأشياء فيرى الظلمة نورا ويرى النور ظلمة ويرى الحق ظلما ويرى الظلم حقا وما أمر المحموم ببعيد الذى يذوق المر حلوا ويذوق الحلو مرا .

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد وينكر الفم طعم الماء من سقم

لذلك فان الكفار سألوا على حسب عقليتهم صف لنا الهك الذى تدعونا لعبادته لأن آلهتهم من نحاس وفضة وذهب وجوهر وحجارة فنزلت السورة الكريمة « قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد » يعنى المسئول عنه هو الله واجب الوجود المتصف بكل كمال المنزه عن كل نقص المسئول عنه ليس من نحاس ولا فضة ولا ذهب ولا جوهر ولا هو مما يتوهمون بل هو الاله المعبود بحق « قل هو الله » واذا سألت عن الدليل أقول لك انت الدليل على وجود الله فوجودك من حيث كونك مصنعة يدل على وجود صانع واتقان الصنعة وتركيبها العجيب وترتيبها المدهش يدل على أن الصانع قادر فأنت أيها الانسان مخلوق من نطفة والنطفة من الدم والدم من الغذاء والغذاء من الأرض وصدق الله اذ يقول « منها خلقناكم » ليس آدم فقط المخلوق من الأرض بل الخلق كلهم مخلوقون من الأرض فادم خلق منها

---

(١) عليه أى على العقل .

PDF Compressor Pro

مباشرة وباقى الخلق مخلوقون منها بالواسطة « ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين الى قوله تعالى فتبارك الله أحسن الخالقين »(١) وقد خلق الله الأرض واودع فيها آيات لا يؤمن بها ولا يراها الا من دخل قلبه نور اليقين « وفى الأرض آيات للموقنين » ولما كان فى الأرض آيات وفى النفس آيات لذلك قال « وفى الأرض آيات للموقنين وفى انفسكم » (٢) أى آيات أعميتم عنها فلا تبصرون وتعتبرون فتؤمنوا وتستعدوا ليوم لا ينفع فيه مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم · يوم لا ينفع فيه رجاء من قال « رب ارجعون لعلى أعمل صالحا فيما تركت » (٣) ·

لذلك كان الجواب عن سؤالهم صف لنا ربك هو قوله « هو الله » والدليل الصنعة التى لابد لها من صانع واتقان الصنعة يدل على اتقان الصانع · فهذه الصنعة من سماء بلا عمد وأرض فيها العجب وأصغر مخلوقات الله فى الأرض كالبعوضة يعجز الخلق قاطبة عن خلق مثلها هذه الصنعة تدل على وجود الله وعلى أنه قادر وعلى أنه مريد يفعل مايريد وعلى أنه حى وليس ميتا وعلى أنه رقيب وليس غافلا وعلى أنه لا تأخذه سنة ولا نوم لأن الحارس اذا نام اختل النظام · ولفظ الجلالة (الله) جمع كل هذه المعانى وأنه واجب الوجود المتصف بكل كمال والمنزه عن كل نقص سبحانه وتعالى ·

« قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد »

يقول الله تعالى لحبيبه وصفوة خلقه قل للسائلين عن صفة ربك فقولهم ما صفة ربك الذى تدعونا اليه قل لهم انه هو الله واجب الوجود المتصف بكل كمال المنزه عن كل نقص ·

لك أن تفهم هنا فهما يساعد على بيان الجواب · انظر من طريق آخر الى قول الله تعالى « ولئن سالتهم من خلق السموات والأرض ليقولن

---

(١) آية ١٢ سورة المؤمنون ·
(٢) آية ٢٠ سورة الذاريات ·
(٣) آية ٩٩ سورة المؤمنون ·

PDF Compressor Pro

الله » (١) . « ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله » (٢) فكأن الجواب ربكم الذى تسألون عن صفته هو الله الذى تعترفون أنه خالق السموات والأرض وانه خالقكم . بل انكم تعتذرون عن عبادة الأصنام بعذر تافه وهو قولكم « مانعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى » (٣) . فأنتم تعترفون بوجود الله فلم التعنت ولم سؤالكم ما صفة ربك . انكم تعرفون الحق ولكنكم تحاورون وتداورون لأمور فى نفوسكم . المسئول عنه هو الله خالقكم وخالق السموات والأرض وهو الاله المعبود بالحق . ويلزم من كونه الها أن يكون متصفا بكل كمال ومنزها عن كل نقص . أنظروا الى مخلوقات الله خلق السموات وفيها آيات عجيبة وخلق الأرض وفيها آيات عجيبة وخلق الانسان والحيوان وفيهما آيات عجيبة فالذى خلق كل هذه الآيات العجيبة لابد أن يكون موجودا لا معدوما ولابد أن يكون عالما لا جاهلا ولابد أن يكون قادرا لا عاجزا ولابد أن يكون حيا لا ميتا اذ الصنعة تدل على الصانع واتقانها يدل على أن الصانع متصف بكل كمال منزه عن كل نقص .

(قل هو الله أحد) « هو » : السادة الخلوتية عدوا « هو » من الأسماء السبعة . اذا أردت أن تعرب كلمة « هو » تجد أنها مبتدأ، وينبغى على المريد اذا قال « هو » بلسانه أن يقول بقلبه (واحد أحد) أى يلاحظ بلقبه ذلك أثناء قراءة الاسم بمعنى أن يكون اللسان والقلب لشخص واحد اذا قال اللسان (هو) قال القلب فى نفس الوقت « واحد أحد » فتكون كلمة (هو) مبتدأ والجملة لا تتم الا بالخبر وهو (واحد احد) فيكون المعنى هو واحد أحد . فيأتى اللسان بالمبتدأ ويأتى القلب بالخبر .

وهذا معنى ، ومعنى آخر قالوا ان المريد الصادق اذا لم يحصل له جذب فى الاسم الثالث (هو) فهو كذاب . ذلك لأنه يخرج من الاسم الثانى حيث تكون النفس لوامة أى أنه يلوم نفسه بعد عمل المعصية فاذا دخل فى الاسم الثالث حيث تكون النفس ملهمة فانه قد يتدخل

---

(١) آية ٢٥ سورة لقمان .
(٢) آية ٨٧ سورة الزخرف .
(٣) آية ٣ سورة الزمر .

PDF Compressor Pro

الشيطان ويوهمه انه لم يصل الى ذلك الا باجتهاده واكثاره من الذكر فيجعله يعتقد أن الأسباب هى التى أوصلته الى ذلك ومن اعتقد التأثير للاسباب كاد أن يكفر والعياذ بالله ، لأن من يذكر الله لعلة أو يعبد الله لعله لكى يكون وليا مثلا فانه يعبد العلة ولا يعبد الله · فالشيطان يسلك لكل انسان مسلكا يتفق مع مسلكه فيأتى العلماء من طريق العلم ويأتى العباد من طريق العبادة حتى يجعل الواحد منهم يخرج من الدين خروج الشعرة من العجين فيجعل العالم ينصح الناس ويعظهم ولا يفعل شيئا مما ينصحهم أو يعظهم به · ويجعل العابد يعتمد على عبادته وينسى من وفقه للعبادة ·

لذلك فان أطباء القلوب يداوون المرضى من المريدين فى الاسم الثالث لأنه برزخ بين النفس الأمارة واللوامة وبين المقام الرابع وهو الذى يضع فيه المريد قدمه مع أهل الطريق · وبعبارة اخرى يكون فى مقام الجنين الرابع بعد النطفة والعلقة والمضغة حيث يكون جنينا وتنفخ فيه الروح · ففى الاسم الثالث تشق العروق والأعصاب فمن لم يتم له ذلك فى الاسم الثالث ينزل ناقصا عضوا من أعضائه ·

فاذا حدثته نفسه قائلة له الذكر الكثير هو الذى أحدث عندك الكشف فانه يقول لها هو أى الواحد الأحد هو الذى أتى بالكشف واذا حدثته نفسه من الذى كساك يقول لها هو أى الواحد الأحد هو الذى كسانى واذا حدثته نفسه من الذى زوجك يقول لها هو واذا حدثته نفسه من الذى ردد الأنفاس فى صدرك يقول لها هو · وهكذا يرد على النفس ويتمرن القلب على مطابقة اللسان فيما يردده ·

نعود الى الآية الكريمة والى أن جواب السؤال هو أن الله سبحانه وتعالى هو المعبود بحق المتصف بكل كمال المنزه عن كل نقص · يجوز ان شخصا يقول يحتمل أنهم اثنان فهذا يرد عليه بقول العوام (المركب اللى فيها ريسين تغرق) والمنزل الذى لا رئيس له أو فيه أكثر من رئيس مصيره الى الخراب والعياذ بالله · ولهذا السر يقول الحق جل وعلا « لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا » (١) فمثلا يريد أحدهما أن يكون

---

(١) آية ٢٢ سورة الأنبياء ·

PDF Compressor Pro

اليوم حارا ويريد الآخر أن يكون اليوم باردا فلو نفذ كل منهما أمره لاجتمع الحر والبرد وهذا محال ، أو لا ينفذ الأمران وهذا عجز لايتصف به اله واذا نفذ مراد أحدهما كان الآخر عاجزا . اذن في جميع الحالات تظهر استحالة التعدد .

اذن فالله تعالى واحد وهو قادر لا يشبهه شيء والدليل على ذلك أن الخلق كافة من الانس والجن لا يستطيعون أن يخلقوا بعوضة « ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له ، وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب » (٢) .

فأخذنا من ذلك أن الله واحد في الذات والصفات والأفعال . أحد في ذاته بمعنى أنه لا تركيب في الذات العلية لانه لو كان مركبا من لحم ودم أو غير ذلك لكان مشابها للغير والغير عاجز فالله منزه عن التركيب وليست هناك ذات تشبه ذات الحق جل وعلا فانتفى الكم المتصل والمنفصل فلا شريك ولا تركيب .

وكذلك ينتفي الكم المتصل والمنفصل في الصفات فليس لله قدرتان وليس هناك صفة تشبه صفة الحق .

ولا فعل لغير الله تعالى وهذا هو الكم المنفصل في الأفعال اما الكم المتصل في الأفعال فهو ثابت لله تعالى لأن فعل الله ثابت « وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها » .

« قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد »

قل يا حبيب الله للسائلين لك عن وصف ربك ان سؤالكم نوع من المكابرة والعناد لأنكم تعلمونه وان سئلتم من خلق السموات ؟ والأرض تقولون الله وان سئلتم من خلقكم تقولون الله . فربي وربكم هو الله خالق الخلق ومصورهم في الأحشاء ورازقهم وهو القابض وهو الباسط وهو

---

(٢) آية ٧٣ سورة الحج .

PDF Compressor Pro

رافع السماء التى ترونها بغير عمد وهو باسط الأرض ومرسيها بالجبال وهو الذى اخرج من قطع الأرض المتجاورات أنواعا مختلفة من النبات ٠ وهو واحد لاشريك له لأنه لو كان معه احد لكان عاجزا والعاجز لا يستطيع خلق هذا الكون العظيم ولو كان معه شريك لاختل النظام لأن الركب التى فيها أكثر من رئيس تغرق ٠

يقول الصوفية كما لا يكون العالم بين الهين ولا المرأة بين رجلين فكذلك لا يكون المريد بين شيخين ٠

المسئول عنه هو الله واجب الوجود المتصف بكل كمال المنزه عن كل نقص ولا يكون كذلك الا اذا كان واحدا فى الذات والصفات والأفعال ٠

« قل هو الله أحد الله الصمد » الذى تعلمونه وتقصدونه فى جميع حوائجكم فالمريض منكم لا يتوجه الا الى الله ولا يسأل اللات والعزى والواقع فى شدة لا يتوجه الا الى الله والمظلوم لا يتوجه الا الى الله ٠ فهو رب العزة الذى تقصدونه وتلجأون اليه فى جميع حوائجكم ٠ واذا كنت أيها المسلم تلجأ الى الله فى وقت شدتك وفى وقت مرضك فلماذا تعرض عنه اذا زالت عنك الشدة وزال عنك المرض ٠

هو الله الواحد الأحد الصمد ٠ المصمود اليه فى كل الحوائج ٠ الملجأ الذى يلتجأ اليه فى كل الأمور ٠ فالصمد لابد أن يكون غنيا وهذا معنى ما قاله البعض أن الصمد هو الغنى دون سواه المفتقر اليه كل من عداه وينطبق على ذلك قول من قال أن الصمد هو المقصود فى كل الحوائج ٠

وهنا يجب أن نفهم قول رسول الله ﷺ (اذا سألت فاسأل الله) وهل هذا يساعد على قول المنكرين للتوسل الذين يقولون لا تقل يا سيدنا الحسين ولا تقل يا رسول الله بل قل يا رب ؟

تأمل الأسباب أعظم فتنة ٠ فهل اذا عطشت واحتجت الى الماء تقول يا رب هات لى الماء لأشرب أو انك تأخذ فى الأسباب ؟ اعلم أن الله تعالى شرع الأسباب وأمر بالعمل بها فقد أمر الله الانسان أن يطلب العلم ويسأل عنه المعلم وأمره اذا مرض أن يسأل الطبيب وأمره أن

PDF Compressor Pro

يسعى على عياله وأن يطلب الأسباب الدنيوية بل ان الأمور الأخروية أمر الله تعالى بالأخذ في أسبابها فجعل العبادة والذكر سببا للفلاح فقال « واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون » (١) وجعل العمل الصالح سببا لدخول الجنة فقال « أعدت للمتقين » .

اذن فالأسباب فتنة تركها عصيان لأمر الله تعالى والاعتقاد فيها شرك لأن الله سبحانه وتعالى هو الفاعل وحده وهو خالق الأسباب والمسببات .

فالتوسل بالامام الحسين سبب من الأسباب فاذا قضيت حاجتك بعد التوسل بالامام الحسين واعتقدت أن الامام هو الذى قضاها كان ذلك شركا بالله والمطلوب أن تعتقد أن الله تعالى هو الذى سبب المسبب ببركة الامام الحسين رضى الله عنه . فالتوسل سبب مثل باقى الأسباب وتركه اثم ، نضرب لك مثلا : الموظف لكى يقبض راتبه يجب أن يذهب بنفسه الى جهة العمل فان لم يذهب لا يقبض ، واذا ذهب لجهة أخرى غير جهة العمل لا يقبض ، واذا ذهب اليها فانه يقف أمام الصراف ليقبض منه الراتب معتقدا أن هذا الراتب حقه بمقتضى القانون وأن الصراف لا يعطيه هذا الراتب من ماله الخاص بل هو موظف مكلف بالصرف فقط ، فهكذا من يقف أمام سيدنا الحسين أو الامام الشافعى فكل منهما صراف فقط والله وحده هو المعطى وهو الرازق وقد جمع ذلك رسول الله ﷺ فى كلمتين فقال (انما أنا قاسم والله معطى) فمن وقف لدى أولياء الله أصابه من الرحمة النازلة عليهم شيء ، ويؤخذ ذلك أيضا من قوله تعالى « أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع فى الأرض » (٢) فان فيوضات الحق وتجلياته سبحانه وتعالى تصدر منه ويسلكها فى أنهار فمن جاور نهرا منها أصابه من الماء شيء والماء ملك لله ، فاذا جلست بجوار نهر منها أصابك من مائه ما يرويك ولكن اذا جلست فى الصحراء وفتحت فمك للماء فانك تتهم بالجنون ، فاذا علمت ذلك علمت أن من سأل غير الله فقد هلك ومن ترك الناس والأسباب فقد خسر ومن وقف مع الناس والأسباب فقد وقع فى الشرك لذلك ينبغى على الانسان أن يسعى وأن يأخذ فى الأسباب قائلا يا رب أنا اسعى

---

(١) آية ٤٥ سورة الأنفال .

(٢) آية ٢١ سورة الزمر .

PDF Compressor Pro

كمـا أمرتنى وأنت الفـاعل فى كل حال · فـكن مع الله بقلبـك ومع الخلق بظـاهرك وقبـل أن تمـد يدك للخلق أمدد عين قلبـك الى الله مسبب الأسباب ·

« الله الصمد » ومنـه ما ورد أن الله تعـالى قال لسيدنا موسى (يا موسى سلنى فى ملح قدرك وشراك نعلك) وليس معنى ذلك أنه اذا احتـاج الى الملح يطلبـه من الله ولا يطلبـه من الجيران بل المعنى أنه حتى فى الأمور التـافهة الصغيرة اطلبهـا بقلبـك من الله فان قلوب العبـاد بيد الله لو شاء سخر لك قلوب العبـاد فيعطوك ما تطلبه منهم وان لم يشأ حول عنك قلب ابنك وأحب الناس اليك فلا يعطيك ·

« الله الصمد » الغنى المقصـود دون سواه · من اعتقد فى نفسه أنه غنى من كل الوجوه كاد أن يكفر لأن الانسان كلما ازداد ماله ازدادت حاجتـه للخلق وذلك قوله تعـالى « كـلا ان الانسـان ليطغى أن رآه استغنى » ولم يقل « يطغى ان استغنى » لأن امتلاك الدنيـا لا ينافى الولاية لأنه لم ينـاف النبوه لأن سليمان كان يملك الدنيـا وهو نبى رسـول انمـا الطغيـان المشار اليه فى الآية بسبب رؤية الانسان نفسه مسـتغنيا وركونه الى الدنيـا أما اذا لم يركن الى نفسه والى الدنيـا واعتبر نفسه فقيرا الى الله فهـذه سـعادة الدارين ·

فيكون خلاصة المعنى أن المسئول عنه هو الله واجب الوجود المتصف بكل كمـال المنزه عن كل نقص الواحـد فى الذات والصـفات والأفعـال الغنى المقصـود فى كل الأحوال الذى يقصـده جميع الخلق وترفع اليـه جميع الحوائج الحسية والمعنوية الدينوية والأخـروية ومن قصـد غيره فقـد خسر الدنيـا والآخرة · ومن قصـد الله حقيقـة فعل ما أمر به من الأخـذ فى الأسباب . وقـد سبق أن قلنـا ان سبك أحد أو شتمك فاقتـد برسـول الله ﷺ فانه لمـا سبه أبو لهب سلم أمره الى الله ورجع للتوحيد موقنـا أن الله سبحانه وتعـالى هو المسبب وهو المحرك وهـو الواحـد القـادر وغيره عاجز وبالتسليم بعـد فعل الأسـباب دافع الله عن حبيبه ﷺ وبينا أن ذلك يوضح ارتباط السورتين ·

فان اشتغل بك النـاس فاشتغل انت بربِ النـاس يدفع النـاس عنـك ·

PDF Compressor Pro

وهنا نتأمل الآتي : الناس عوام وخواص في نظرهم للآية الكريمة « أن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا » (١) فالعوام اخذوا بظاهرها فترى الواحد منهم يتعب نفسه في التفكير في الشيطان باستمرار فيقول الشيطان عدو فيجب أن اتخذه عدوا فتراه يشك في كل عمل يقوم به فاذا توضا يغالي في الدلك واذا صلى يغالي ويكرر في التكبير فهذا استخفه الشيطان فلعب به كما يلعب الطفل بالكرة ، لأنه يكون في هم وغم ونكد بالليل والنهار معتقدا أنه يجاهد الشيطان ، والمطلوب أن يعمل هدنة ويريح النفس ببعض المباحات حتى يستطيع أن يستدرجها لقطاعات ، والخواص فهموا معنى الآية وفهموا أن الشيطان عدو فاتخذوه عدوا ومضمون ذلك أن الله حبيب فاتخذوه حبيبا فاشتغلوا بالله وبحب الله والتقرب الى الله ، فتولاهم الله ودفع عنهم كل كيد .

« الله الصمد » ولذلك فهو منزه عن العلة والسبب اذن فهو لم يلد ولم يولد ـ الله واحد لا شبيه له ولا مثيل . والتزاوج تجانس والله لاجنس له فيتخذ منه زوجة اذن فلا زوجة ولا ولد ، سبحانه « أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة » (٢) فالله سبحانه وتعالى لم يلد لأنه لا جنس له فيتخذ منه زوجة تلد . واذا كان الله لم يلد فهو لم يولد .

تأمل الولد يرث والده فهو محتاج والله جل جلاله ليس محتاجا اذن فهو ليس ولدا ، وكل مايراد للولد تنزه عنه رب العالمين (٣) .

لماذا ذكر الحق كلمة « لم يولد » والجواب ان الكفار معترفون أن الله لم يولد فكيف تصوروا أن من لم يولد يلد مع أن القياس العادى أن من يولد يلد ، لذلك كان التصريح بذلك للتنصيص ردا على مازعموه من أن الملائكة بنات الله وأن المسيح والعزير أبناء الله ومن ذلك ظهر أن الله لم يلد ولم يولد .

اذا كانت هناك مملكة ولها ملك فيجوز أن لملكها مثيلا ، وهو من شارك في اغلب الصفات أو شبيه وهو من شارك في نصف الصفات أو نظير وهو من شارك في بعض الصفات فأراد الله أن ينفي المثيل والشبيه والنظير فقال « ولم يكن له كفوا أحد » فالله خالق كل شيء وليس كمثله شيء وهو السميع البصير والله اعلم .

---

(١) آية ٦ سورة فاطر .
(٢) آية ١٠١ سورة الأنعام .
(٣) الشيخ رضي الله عنه ينفي أن يكون لله تعالى والدا .. تأمل .

PDF Compressor Pro

الدرس التاسع عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

« قل أعوذ برب الناس ، ملك الناس ، اله الناس ، من شر الوسواس الخناس ، الذى يوسوس فى صدور الناس من الجنة والناس » ٠

هذه السورة الكريمة والتى قيلها قيل أن سبب نزولها واقعة السحر التى حدثت للنبى ﷺ ، وبعد أن ثبت السحر بالحديث الصحيح لا ينبغى الانكار الا أنه يجب الانتباه الى أنه اذا جاء فى بعض طرق الحديث أن السحر أثر على عقله الشريف فهذا كلام يجب رده ، كما أنه لا ينفى أن السحر كغيره من الأعراض البشرية التى تنزل على الأنبياء كما تنزل على غيرهم واذا نزلت على الأنبياء فانما تؤثر على الأبدان فقط تأثيرا غير منفر ولا تؤثر على العقول ، واما سبب تأثير الأعراض البشرية على بشرية الأنبياء فهو رحمة من الله بعباده حتى لا يعتقدوا فيهم الألوهية فيضلوا٠ ولكى يتأسى بهم العباد ٠ فلولا نزول المرض عليهم لكان المريض من العباد معرضا للكفر اذا نزل به المرض ولكنه يتأسى بالنبى ، وكذلك يتأسى الفقير بالنبى ﷺ اذا علم كما ورد عن السيدة عائشة رضى الله عنها قولها كنا نمكث الليالى ذوات العدد لا يوقد فى بيت رسول الله ﷺ نار أى لا يوجد فيه طعام الا الأسودان الماء والتمر ، وكان رسول الله ﷺ يربط على بطنه الشريف الحجر والحجرين فهذه من الأعراض البشرية التى نزلت بالنبى ﷺ وفيها أسوة للفقير الذى لايجد قوت يومه ، والسحر كذلك من هذه الأعراض البشرية ليتأسى بها الناس ٠

الله سبحانه وتعالى واجب الوجود واحد فى الذات والصفات والأفعال ٠ لا تأثير لشىء فى شىء ما ٠ فالطعام لا يؤثر فى الشبع والماء لا يؤثر فى الرى والسحر لا يؤثر فى البدن والسكين لا تقطع والنار لاتحرق ولو كانت هذه الأشياء تؤثر بطبيعتها لكانت شركاء مع الله والله واحد فى افعاله لا شريك له والتأثير لله وحده ٠

PDF Compressor Pro

وهنا يطرأ سؤال اذا كان الفعل لله وحده والكل فعله فلم أرسل الرسل مبشرين ومنذرين ولم أنزل الكتب ولم خلق الجنة للطائعين وخلق النار للعاصين ؟

والجواب : تقرير التوحيد هو بيان أن الله وحده منفرد بالايجاد والاعدام وانه الفاعل لكل شيء ، وانه لا تأثير لشيء في شيء ما ، ولكن حكمة الله سبحانه وتعالى اقتضت أن يخلق الخلق وأن يجعل في كل فرد استعدادا لفعل الخير وفعل الشر ، وهو الاستعداد الذي يجعل الشخص قادرا على فعل المأمورات وعلى اجتناب المنهيات ، وقادرا على قبول التكليف بفعل الأوامر واجتناب النواهي ، ولولا هذا الاستعداد لما كلفه الله تعالى ، ثم أرسل الله الرسل للخلق ببيان الشرائع بعد أن جعل في الخلق هذا الاستعداد ، وبعد أن بين الرسول للخلق المستعدين البيان الموحى اليه من ربه قال له الحق جل وعلا « قل كل يعمل على شاكلته » (١) بين الرسول طريق الجنة وما يوصل اليها من الأعمال وطريق النار وما يوصل اليها من الأعمال . فيجب على المكلف أن يسلك الطريق الذي يوصله الى ماينفعه ويتجنب الطريق الذي يوصله الى ما يضره وعنده العقل وعنده الاستعداد الكافي لسلوك أي من الطريقين مع التمييز بين النافع والضار فتراه وهو طفل اذا رأى جمرة من النار لم يمسكها وان رأى ثمرة أمسكها وأكلها .

وخلق الله الأسباب ولكن ليوجد المسببات عندها لا بها .

قال تعالى « ان سعيكم لشتى فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى » (٢) .

فما دام الانسان في دار التكليف ولديه الاستعداد فانه ينبغي عليه أن يسلك طريق الخير ويتجنب طريق الشر فان سلك طريق الخير أعانه الله عليه وأثابه في الآخرة وان سلك طريق الشر أعانه عليه وعذبه في الآخرة،

---

(١) آية ٨٤ سورة الاسراء .

(٢) آيات ٤ ـ ١٠ سورة الليل .

PDF Compressor Pro

ومثـاله كمن يحمل سيفا فان أحسن استعماله في الجهـاد في سبيل الله أعانه الله وأثابه بدخول الجنة وان اسـاء استعماله في أذى عبـاد الله أعطاه الله القوة وعذبه في الآخرة فالسيف الذي يجاهـد به في سبيل الله هو السيف الذي يقطع به الطريق ويؤذي العبـاد ، ومثـاله ايضا العين التي خلقهـا الله للانسـان فان شـاء استعملها في الخير وفي النظر في المصحف وفي قضـاء مصـالحه ومصـالح النـاس أعانه الله على ذلك وأثابه في الآخرة وان شاء استعملها في النظر الى المحرمات ويعينـه الله على ذلك ويعـذبه في الاخرة ٠

فالله سـبحانه وتعـالى هو الفـاعل لـكل شيء فهـو الذي يشـفي المريض عنـد أخـذه في سـبب الشـفاء وهو التداوي ٠ والجـائع يخلق الله له الشبع عنـد أخـذه في اسباب الأكل وكذلك العطشان فترك المـاء اثم واعتقـاد التأثير له شرك والصـواب أن تأخـذ في السبب معتقدا أن التأثير لله وحده لا شريك له ٠

كما أن من يأخـذ في السبب يجب عليه أن يأخـذه على الوجه الكامل المشروع فـلا يشرب عنـد الجوع ولا يأكل عنـد العطش وان أراد علمـا لا يجلس في المقهى ويلعب الميسر وان أراد الـدفء لا يتعـرى بل يلبس اللبـاس المتـاسب لأن الله قال « وجعل لـكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم » (١) مع عـدم اعتقـاد الدفء للسرابيل ٠ فالتأثير لله وحده وهذا ما افادت به سورة الاخلاص ٠

وقـد بين الرسول أن هنـاك أسبابا للنفع يجب أخذها وأسبابا للضرر يجب تركها حسا ومعنى ٠ فان كان الانسان قادرا على أن يفعل السبب الحسي ثم تركه وفعل سببا معنويا فقـد أثم ، وقـد يحتج البعض بأن ابا بكر الصـديق رضى الله عنه لم يفعل السبب الحسي ذلك عندما مرض وقال له قـوم عادوه انحضر لك الطبيب فينظرك قال ان الطبيب نظر لي فقيـل له ما قال لك فقـال قال لي أنا فعـال لمـا أريد ٠ وهذا الحـال لا يجوز أن يحتج به أولا لأنـك ان كنت في مقـام الصـديق رضى الله عنه فافعل مثل ما فعل ذلك لأن الله تعـالى كشف عنـه الحجاب وتجلى عليه فغـاب في التجليـات فقـال ما قال أما أنت فتركك الأسباب كذب وزندقة ٠

---

(١) آية ٨١ سورة النحل ٠

PDF Compressor Pro

وقد يقول البعض أنه ابراهيمى المقام ويقول « حسبى من سؤالى علمه بحالى » تاركا الأسباب مع أنه يقول ذلك بلسانه فقط وقلبه معلق بالخلق ، وهذا أيضا خطأ لأن سيدنا ابراهيم عليه السلام أخذ فى الأسباب وذلك لأن قومه أسكروه واحاطوا به من كل جانب وهو فرد واحد وهم جمع كبير فعجز عن فعل الأسباب اذن الكلام فى هذا الوقت العصيب لا يفيد حتى جبريل عليه السلام أتى اليه بأمر الله فان كان مأذونا بعمل شىء فسوف يعمله وان لم يكن لديه اذن فلا فائدة فى الكلام ولذلك قال ابراهيم عليه السلام « علمه بحالى يغنى عن سؤالى » على أن هذه العبارة فيها أبلغ عبارات الطلب والدعاء من الله وهى تشبه حال من يقول (الشكوى لأهل البصيرة عيب) يعنى لست نائما يا رب فأوقظك ولست غافلا فأنبهك .

والله سبحانه وتعالى خلق الأسباب وجعل لها خواص وانفعالات وآثار ، فالغالب أن من فعل أسباب الخير يوجد الله الخير عنده ومن فعل أسباب الشر يوجد الله الشر عنده ، والناس كذلك فمنهم من يساق الخير على يديه ومنهم من يساق الشر على يديه ، والناس بعضهم لبعض فتنة فالغنى فتنة للفقير والصحيح فتنة للمريض وهكذا .

اذن فيجب على الانسان أن يأخذ فى أسباب الخير ويدفع عنه أسباب الشر . فاذا كانت هناك أشياء لا يستطيع أن يدفعها الانسان عن نفسه كعدو قوى اذن تأتى هنا الأسباب المعنوية ومنها الاستعاذة برب الناس « قل أعوذ برب الفلق » و « قل أعوذ برب الناس » فاستعذ بالله فان الله يحميك من عدوك . وهذا هو مضمون معنى السورتين .

كثير من الناس والعياذ بالله شياطين أضر من شياطين الجن وهو من يكون معك يعانقك ويقبلك ويتمنى لك الهلاك ولكن لا تيأس فقد يطبق ليل الحوادث ويشتد ليل الفتن قرب الفلق الذى يفلق الحب من الحجر ويفلق النهار من الليل لا يعجزه أن يفلق همك فرجا ومرضك شفاء . عذ بربك رب الفلق ينجيك ، وقد ضرب الله لك مثلا فى هذه السورة فقس عليه « ومن شر غاسق اذا وقب » فشبه الليل بالغاسق اذا وقب يعنى اذا اشتد الليل فان النهار يطلع فلا تيأس من فاقة ولا مرض ولا ضيق ولا شدة « ومن شر النفاثات فى العقد ومن شر حاسد

PDF Compressor Pro

اذا حسد ، فضرب الله المثل لنقيس عليه فان سحرك أحد أو حسدك أحد فاستعذ بالله فان الله هو خالق الخلق فهو خالق الساحر والمسحور وخالق الحاسد والمحسود فعذ بربك وربه يفصل الله بينكما ويعطى كل ذى حق حقه . فذكر الله فى السورة السابقة (سورة الفلق) بعض أشياء لتقيس عليها كالليل . وذكر بعض أشياء يسبب الله الأسباب عندها كالسحر والحسد ، اذن فعذ بربك وربها ينجيك مما فيها مع اخذك فى الاسباب والجأ الى الله فى كل حال فان استطعت أن تفعل السبب فاسأل الله أن يعينك ويقضى حاجتك وان لم تستطع فعل السبب فسلم الأمر لله والجأ اليه يقضى حاجتك وينصرك على عدوك وقد قيل (ان أردت أن تظفر بعدوك فاصبر عليه) . شرار الخلق من الجن والانس من خالقهم ومن ربهم ومن مربيهم بنعمه ؟ الله جل جلاله وهو المعبود بحق ، الجن لا ترى أشخاصهم ولا ترى ما يقومونه فى القلوب ، والانس ترى أشخاصهم ولا ترى ما يدور فى خلد أحدهم من المكائد فلذلك جمع الله بينهم فى قوله « من الجنة والناس » فعليك أيها المؤمن أن تعوذ برب الناس فانه يعيذك منهم ، ولا تشغل قلبك أيها المؤمن بشياطين الجن والأنس فينشغل بهم بدلا من اشتغال قلبك بربك ، عذ بربك رب الناس ملك الناس اله الناس ربك وربهم الذى خلقك وأرسل لك وأنت طفل ضعيف من بين فرث ودم لبنا خالصا ولطف بك فى جميع أحوالك فهو القادر على نجاتك ولا تقل ربما يوسوس الشيطان فى صدرى ويقلب قلبى لأن ربك هو مقلب القلوب والأبصار ، والجأ الى سيدك وسيد خصمك وارفع له قضيتك وقل أنا أعوذ بك يا ربى أنت ربى وربهم أنت سيدى وسيدهم وهذا معنى رب الناس ملك الناس اله الناس .

وضرب الله هنا مثلا بقوله « من شر الوسواس الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس » والوسوسة هى الأشياء الخفية التى تصدر من شياطين الانس والجن . ولكن هل الشيطان يوسوس للكل ؟ لا انما الشيطان يوسوس للغافل « ومن يغفل عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين » (١) فالشيطان كاللص الضعيف الجبان يخاف حتى من بكاء الطفل فى المنزل فلو ذكر الانسان ربه بقلبه مرة واحدة بصدق

---

(١) آية ٣٦ سورة الزخرف .

PDF Compressor Pro

يهرب الشيطان وقد قيل انه اذا سمع تكبيرة واحدة من الأذان فانه يهرب وهو يضرط .

فالله تعالى يعلم عباده انه اذا ذكر العبد ربه خنس الشيطان وانكمش وهرب ولا يجد جراة فى الدخول الى قلب المؤمن فاذا أردت أن يحفظك الله من شر الوسواس الخناس فاذكر ربك بقلبك دائما واستعذ به « من شر الوسواس الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس من الجنة والناس » كلمة من بيانية مشوبه بالتبعيض كالجنة والناس بعضهم صالح وبعضهم طالح .

الوسوسة الصوت الخفى فالجن يوسوس اما بتسليط خرطومه أو بالقاء الخواطر الرديئة فى القلب وأما شيطان الانس فانه يسلط لسانه المعسول وأحاديثه المعربة والمبنية المملوءة بالمحسنات البديعية التى تغر المستمع وهى مملوءة بالسم فأشبه شيطان الجن من هذه الناحية وهو أكثر ضررا منه والعياذ بالله .

PDF Compressor Pro

تنـــويه :

فى آخر صـفحة ٨٢

تـكرر السطر الأخير وتصحيحه :

بدأ بالثناء والدعاء والتذلل بين يدى الله قائلا : لا أعبـد غيرك وليس لى

رقم الايداع ٨٣/٣٣٨٠

إهداء من المؤلف

القاهرة الحديثة للطباعة
أحمد بهاء الدين الخرسوطلى
٣ شارع الجد بالفجالة
تليفون ٩٣٤٣٩٠ - تلكس ١٤٩١٤٨